

مقال مارافرام

عن ربنا

ترجمة وتحليل

القس

أفلام سليمان متي

بعد إطلاعنا على كتاب مقال مار افرام عن ربنا والذي قام بترجمته وتحليله القس أفرام سليمان متي، رأينا أنه يحتوي فائدة قيّمة للمؤمنين، لذا نبارك جهوده، ونتمنى له العطاء الدائم.

لا مانع لدينا من طبعه. .

أدي الثاني

بالنعمة

بطريك الكنيسة

الشرقية القديمة في العراق والعالم

محتويات الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٣
ترتيب الميمر	٥
مسيحانية الميمر	٦
كتابية الميمر	١٠
اليهود في الميمر	١١
مقارنة المتضادات في الميمر	١٢
مقال مار أفرام عن ربنا	١٥
الخاتمة	٣٧

المقدمة

مار أفرام الشماس اسم لامع في كنيستنا، أغنى الكنيسة في زمانه، ولا زالت تنتشر من كتاباته ومؤلفاته. انكبَّ المهتمون بترجمة اغلب مؤلفاته لتكون نبراساً نقندي بها نحو الاتحاد بالله. واليوم أقدم هذا الميمر لكل من يهتم ويحاول أن يعكس صورة صادقة لكنيسة المشرق من خلال مؤلفيها العظام.

كما وأقدم شكري الجزيل للأب الفاضل منصور المخلصي، الذي اهتم بتوفير نسخة من الكتاب الأصلي، ومراجعة بعض التحليلات. كما وأشكر معلمي الكبير الأب ألبير أبونا الذي علّمني وجعلني متيمّاً باللغة السريانية، كما وأشكر الأستاذ طه مدرس اللغة العربية لتتقيحه الكتاب. وأخيراً اطلب صلواتكم من أجلي، لأعمل دوماً لخير الكنيسة وخدمة مؤمنينا.

القس

أفرام سليمان متي

ترتيب الميمر

ينقسم الميمر إلى ٥٩ مقطعاً، تتناول عدة مواضيع تتربط فيما بينها بصورة متينة، حيث لا يشعر القارئ إلا وهو منتقل إلى موضوع ثانٍ. ولتسهيل الأمر على القارئ الكريم سنوزع الميمر بحسب ترتيبه وموضوعه.

١-٢ اختلاف الطبيعتين الإنسانية والإلهية، وكيفية وجوب اللقاء من خلال الخروج عن الطبيعة البشرية، كما أن الله نزل إلينا لما خرج من طبيعته وعمل ما ليس من عادته عمله.

٣-٤ الصلب والموت من أجل إحياء البشرية، وإخراج الساكنين في شئول بقوة الصليب الظافر.

٥-٨ محاربة الوثنية، ومن يدعون أنهم يعبدون الله الواحد (اليهود) في حين أنهم يعبدون الأصنام. ولأن يسوع جاء ووبخهم، قتلوه لأنهم اتهموه بأنه يحيدهم عن الله الواحد.

٩-١٠، ١٣ المسيح هو نبع الحياة، وملجأ كل من يود الاقتراب من الإلهية.

١١-١٢ المسيح هو متم كل شيء.

١٤-١٧ الفرّيسي والمرأة الخاطئة، مع مثل المدينين. ومن عمى الفرّيسي يتحول مار أفرام من الفرّيسي الصورة المصغرة لشعب إسرائيل، إلى قصة موسى.

١٨-٢٠ موسى وشعب الله المتهاافت وراء الأصنام. وفي النهاية رجوع إلى موضوع الفرّيسي لأنه هو مثل شعب إسرائيل جحد واستخف بابن الإنسان.

٢١ يسوع هو الله بشهادة خصومه، لأنه قادر على الشفاء والغفران.

٢٢-٢٥ تواضع ربنا في مواجهة الفرّيسي الذي ظلمه كثيراً بحكمه. ومن خلال هذا التواضع سننتقل إلى موضوع بولس المضطهد، وكيف جعله الرب يسوع عاملاً مهماً في كرمه من خلال سلاح التواضع.

٢٦-٢٧ اهتداء بولس وتضرره بسبب النور

٢٨ مقارنة بولس بدانيال

٢٩-٣٠ موسى ومجد الله، مع حوار عنيف حول عدم وجوب تعليم الله! مهما كان للإنسان من حرية.

٣١-٣٢ مقارنة ثانية بين بولس وموسى.

٣٣ مقارنة بين رشوة الحراس واتهام اليهود للتلاميذ برشوة بولس.

٣٤-٤٠ مقارنة بين الصوت والنور، لماذا النور أذى بولس بينما الصوت جذبه للإيمان؟

٤١ عودة إلى موضوع الفرّيسي وشعب إسرائيل وتقل تحملها، فاتجه قائداهما (يسوع وموسى) إلى استعمال التواضع.

٤٢ المسيح هو الغافر والطبيب

٤٣ المسيح أعظم من الأنبياء، والله أفضل من موسى في البرية، لكن الشعب كان لا يرى كل المعجزات التي يعملها الله، ولما غاب موسى قليلاً، عبدوا العجل.

٤٤ لغة الحب بين المرأة ويسوع.

٤٥ هدف مثل المدينين هو عدم الاستعجال بالحكم.

٤٦ استحقاق الغفران وتوبيخ القادة الدينيين من بسطاء القوم.

- ٤٧ يسوع يطلق الحكم على أعدائه من أفواههم، الفرّيسي يؤكد أن المرأة تستحق الغفران من خلال الإجابة على جواب المثل. ورؤساء اليهود يوافقون يسوع بأنه من الطبيعي أن يأخذ الله الكرم من الفعلة الحاليين ويمنحه لآخرين غيرهم.
- ٤٨ المسيح لبس الإنسانية ليقترّب من الذين يتمنون لقاء يسوع، فالله يحضر لدى من له الرغبة في لقاءه.
- ٤٩ نصيب مريم (المرأة الخاطئة) الأفضل ومقارنتها بالمرأة المنزوفة التي سلبت الحياة سلباً.
- ٥٠-٥١ سمعان الشيخ وحمله ليسوع، ولكن الحقيقة هي أن يسوع هو من حمل سمعان، لأن القرابين كلها تُقدّم ليسوع، كما أن سمعان أحس بحنان يسوع، لذا طلب من الله أن يُطلق روحه.
- ٥٢ مقارنة بين سمعان الشيخ وسمعان بطرس، الأول في الهيكل والثاني في البحر.
- ٥٣-٥٤ المسيح يأخذ الكهنوت والنبوة من سمعان في الهيكل، ويمنحهما لسمعان بطرس.
- ٥٥ يسوع ويوحنا، حيث يسوع يأخذ وكالة العماد بالماء، ليعمد هو بالروح والنار.
- ٥٦ يسوع يأخذ المعمودية والنبوة والكهنوت والملك، مع أن يوحنا كان يعمّد وحنّان يكهنّ، وقيافا يتنبأ، وهيرودس يملك.
- ٥٧ الأشياء الأربعة التي ذكرناها أعلاه كانت الحل الوحيد لأن يتحمل الله شر من أخذها.
- ٥٨ المسيح بأخذه هذه الأشياء الأربعة، خدم بها العالم أجمع وليس شعب خاص.
- ٥٩ جملة الميمر وهدفه "التواضع"

مسيحانية الميمر

قد يكون السبب وراء تكلم آباء هذه الحقبة عن المسيح بأريحية كبيرة ودون أي ضغوط، هو الزمان الذي تكلموا فيه عن المسيح. فالمسيح الذي يتكلم عنه مار أفرام لم يكن بعد قد تجزأ ما بين المدارس والكنائس، حيث أننا لا نجد آباء ما بعد القرن الخامس، يتكلمون بصورة شاملة عن المسيح.

كرستولوجية نازلة أم صاعدة:

من الصعب أن نحكم على مار أفرام بأنه تنازلي أو تصاعدي في تعليمه عن المسيح، بالحقيقة، مار أفرام كما سنجد يولي أهمية خاصة للإلهية التي لدى ربنا، ولكنه لا يتكلم عن إلهية مجردة، بل إلهية مجسّدة (لأنه لا يمكنها للإلهية المجردة) - إن صح الكلام - التعبير عن ذاتها بصورة تلائم وطبيعة البشر. لذا فإن التجسد صار ليقترّب الله من البشر، ويتمكن الإنسان من الدخول في علاقة مع الله، غير محفوفة بمخاطر اختلاف الطبيعتين، الإلهية الممجدة والبشرية الضعيفة المحدودة.

يسوع سر علاقتنا بالله:

ولكن هناك شرط أساسي من دونه لا يمكن الدخول في هذه العلاقة، الإيمان بيسوع المسيح رباً وإلهاً. فما حدث لبولس درسٌ لكل من يحاول أن يتمادى في إذلاله لطبيعة الإلهية التي تتجسد بكل الأشكال في البشرية، وخاصة المتجسدة في ربنا يسوع المسيح وكنيسته المقدسة. لذا فإن شاول مضطهد الكنيسة يفقد بصره الغليظ، لتكون لديه بصيرة مسيحية كالتي لموسى، هكذا يقول مار أفرام. أما المرأة الخاطئة فإنها تستطيع الوصول إلى جوهر هوية يسوع بسبب إيمانها بمن التجأت إليه.

درس من الماضي

وقبل أن نستعرض كيف فهم مار أفرام المسيح وأراد أن يقدمه لنا، علينا أن نفهم أننا نتكلم عن القرن الرابع، وليس عن اليوم. لذا يجب أن نتحمل ما يمكن أن يكون غير مستساغاً لنا اليوم، ونكتفه ونجعله بلغة اليوم. فاللاهوت عاد إلى التعليم انطلاقاً من ناسوت المسيح الذي هو طبيعته وليس تقمصاً. ولكن يجب أن نتذكر كلما قرأنا لمار أفرام أن الإلهية أهم بكثير من إنسانية يسوع، فالإنسانية اتخذها الله الكلمة فقط ليستطيع التعبير عن إلهيته بطريقة تلائم البشرية.

يبدأ الكلام في هذا المقال ومار أفرام على علم أنه يقترب من شيء عظيم لا يجب أن يتقحسه، ولكن ومن أجل الذين يتكلمون ويتشامخون أراد أن يبين عظمة المسيح تجاه ضعف الإنسان الذي صار حياً لأن المسيح هو من أحياء.

الكلمة والتجسد:

يتكلم مار أفرام عن الوجود الأزلي للمسيح، ويعني الكلمة الذي نزل واتخذ جسداً، نجد أساسه في الإنجيل الرابع (نشيد الكلمة). فهو الكلمة، والمسيح الكلمة هو من به خلق كل شيء. إذاً يسوع هو علة الخلق على يد الله الأب. إن هذا تعبير أول عن الوهية يسوع. صحيح إن هذه الكلمة تجسدت بطبيعة إنسانية، ولكن تجسدها كان لفهم إلهيته. فيسوع المسيح هو الوسيط الوحيد بين الإنسانية والإلهية، لأنه إله حق وإنسان حق. (1 تيم ٢: ٥).

التجسد من أجل الإلهية يعني أنه لو كان بإمكان الإلهية اقناع الناس بطبيعتها الباهرة لما كان الله بحاجة إلى تجسد، ولكن من أجل إثبات الإلهية لنفسها اتخذت جسداً. لكن حاجة الإنسان الماسة لله ولعدم تمكنه من الاقتراب منه، لذا فإن الجسد الذي اتخذته أصبح واسطة يتمكن بها الإنسان المؤمن أن يقترب من الله بكل سهولة. ويسوع هو الكاهن الأوحد، الكاهن الذي سيقرب العالم أجمع مرة وكفى على الصليب.

إذاً الإلهية هي طبيعة يسوع الحبيبة على قلب مار أفرام، والمرأة الخاطئة ستعترف في قرارة نفسها بأن يسوع هو الله، وهذا الاعتراف هو القمة التي توصلت لها الخاطئة، وبحسب الميمر هذا سنجد يسوع أيضاً يستدرج خصومه ليعترفوا به إلهاً. وخاصة في مسألة الغفران الخاص بالله وحده. ولكن يسوع المسيح هو الغافر أيضاً. وهذا ما نقرأه في أسلوب مار أفرام في شرحه الأمثلة والعجائب الكتابية، يضع ما هو إنساني بخدمة الإلهي، أي إنسانية يسوع تظهر في دعوته للوليمة ولكن ليس المهم هذا بل المهم إعلان إلهيته بقدرته على الغفران للخاطئة. فيسوع المسيح هو المحرر، حرر الإنسان من الخطيئة التي بها يستطيع الشرير سبيها.

ومن الأمثلة التي يعطيها مار أفرام حول التدخل الإلهي بهيئة إنسانية، ليتواصل مع الإنسان هو إسكات العاصفة، فالسفينة هي الكنيسة، فمع أن الكنيسة تحمل يسوع للناس أجمعين، ولكن في الحقيقة يسوع هو من يحمل الكنيسة ويحميها ويخلص كل من يحاول أن يززعها.

الصفة الكريستولوجية بعد الوجود الأزلي والتي يحملها المسيح في هذا الميمر هي التجسد، فمن خلال هذه الصفة سيتمكن يسوع من نيل كل الألقاب المسيحانية الأخرى. لأن المسيح لكي يكون مخلصاً وجب عليه أن يتجسد، وليقوم من بين الأموات وبيعث معه كل الأموات، وجب على جسده أن يذوق الموت ككل البشر.

خلاص وحياة:

إذا المسيح المخلص أو بالأحرى المحيي، قلنا: المحيي لأن مار أفرام غالباً ما يستعير عن كلمة الخلاص بكلمات حياتية أكثر، وحتى الأمثلة فهو يقارن بين الشجرة (رمز الحياة) التي أوقعت آدم جعلها ربنا علامة الخلاص (الحياة)، فالخشبة التي أماتت كشجرة عادت وأحييت كصليب. إنها مقارنة بغاية الروعة بين آدم الذي أدخل الموت للإنسانية ويسوع الذي وهب الحياة لها. فيسوع

كآدم الجديد، هو لقب مسيحاني آخر، له من الأهمية ما يجعل الأمر عودة البشرية إلى طبيعتها الأولى حيث الإنسان في جنة عدن (ملكوت الله).

الحي والمُحيي:

كما قلنا أعلاه بأن التجسد شرط الخلاص، وموت الجسد شرط للقيامة، فهكذا القيامة هي ثمرة عمل الله في يسوع. القائم من بين الأموات، تأييد الله، في الخطبة البطرسية الأولى نجده حاضراً، وسيكون الأساس للإيمان المسيحي مع بولس: "لو أن المسيح لم يقيم فتبشيرنا باطل وإيمانكم باطل" (١كور ١٥: ١٤). فحبة الحنطة إن لم تمت وتُدفن في الأرض لن تُعطي ثمرًا، واليهود بقتلهم يسوع جعلوا رسالته مثمرة. فالبشرى العظيمة التي كُرزت بها في كل العالم "لقد قام، إنه حي"، أي يسوع بقيامته أيضاً وطئ الموت وأقام كل الراقيدين، وبعثهم بالمجد ليهنئوا بالحياة الأبدية.

إذا كان يسوع الحي لقب كريستولوجي ما بعد القيامة. فيسوع ليس حياً فقط، بل مُحيياً أيضاً، ولكن ليس فقط بعد القيامة، بل بحياته التبشيرية كان يسوع يحيي لأنه كان يعمل المعجزات ليس ليشفي فقط بل ليُحيي أيضاً.

لماذا أيد الله يسوع وأقامه من بين الأموات؟ السبب موجود عند مار أفرام في هذا المقال إذا عرفنا انه يعطي لقباً صريحاً ليسوع من حيث إنه ابن الله الحقيقي. وأن الله لا يرضى بأن يُقتل ويُهَان ابنه، وإن حدث هذا فالأب سيؤيد ابنه بالقيامة ولن يَر تقيّه الفساد.

ابن الله واستحقاقاته:

إذاً المسيح هو ابن الله، هو الابن الوارث لكل شيء. ولأنه الوارث فيسوع صعد عند مجد الآب ليكون فوق كل الرئاسة والسلطين والملائكة، إنه الجالس عن يمين الله الأب. ويجلوسه هذا سيتمكن من إتمام الوعود ويمنح الروح، ويمنحه الروح تمكن التلاميذ من التكلم بالسنة عديدة، والقيام بشفاءات كان يسوع قد وعد التلاميذ بأنهم سيعملون أعمالاً أعظم منه إذا ما آمنوا به.

المجيء الثاني:

المجيء الأواخري مهم جداً فهو مرتبط بلقب يسوع الأواخري والخلاص الأواخري (الحياة الأبدية) بذات الوقت. ومار أفرام لا يفكر إلا كمرقس عن المجيء الثاني، فمجيء المسيح الثاني ليس للدينونة بل لجمع مختاريه. لذا فإن الملك السماوي لقب أواخري للمسيح، عندما يظهر في آخر الأزمنة منتصراً على العدو المتمرد (الشيطان وقواته).

مسيحانية كلام وعمل يسوع:

استعرضنا أعلاه كريستولوجية تمتد من الوجود الأزلي للمسيح حتى المجيء الثاني بالمجد العظيم. متوقفين عند أهم محطات حياة يسوع والتي كونت فيما بعد ما يسمى بأسرار المسيحية، وأعني: الخلق، التجسد، الخلاص، القيامة والمجيء الثاني. ولكن في الميمر يشير مار أفرام إلى مسيحانية نستنبطها ممّا عمله وتحدث به يسوع في حياته الأرضية.

نبي أم أعظم:

أولاً يسوع النبي، من حيث هو محور الحديث عن المرأة الخاطئة وسمعان الفريسي، فالفريسي يرى أن يسوع ليس بنبي لأنه ما استطاع أن يكشف المرأة التي تجرأت واقتربت ممن نبياً للحظة ما. هكذا كان مفهوم الشعب القديم للنبوة وكأنها كشف الخفايا فقط، وبعد أن يكشف يسوع للفريسي كثرة خطايا المرأة يتبين أنه نبي، ولكن يسوع ليس نبياً فقط بل إنه أعظم من نبي، إنه رب الأنبياء. لأنه يكشف الخفايا، ليس لكونه نبياً، بل لأنه استعمل لغة المحبة التي تطلب ويُعطى لها دون كلام. فالفرق بين الأنبياء ويسوع يكمن

في أن الأنبياء أعلنوا كلمة الله، في حين أن يسوع هو كلمة الله بذاتها. فرب الأنبياء هو القلب الحقيقي الذي يستحقه المسيح لو ربطناه بما سيأتي في نهاية الميمر عن أخذ يسوع النبوة من سمعان الشيخ.

ولكي يبين مار أفرام أن يسوع أعظم الأنبياء، يجعله أعظم من أكثر نبيين يكن لهما اليهود احتراماً خاصاً، وأساس هذا التفضيل هو كتابي، فيسوع أفضل من موسى وداود. فيسوع هو موسى لا بل أعظم من موسى. فيسوع فاق موسى عظمة، ليس بإعطاء الشريعة بل بروح الشريعة المتواضعة (يو ١٧:١). أما داود وإن كان نوع التفضيل يختلف قليلاً، حيث يسوع الممجد أعظم من داود، فإن كان داود أضطهد بالرؤية، فيسوع لا يحدث له هذا بعد أن أيده الله بالقيامة. أضطهد يسوع قبل القيامة ورد عليهم بأعمال عجائبية ليروا، أما الآن فلا يرد عليهم سوى بالكلام، يسوع بعد القيامة لا يجترح المعجزات بل يتكلم ويوصي، هكذا فعل ببولس، جعله لا يرى لكي يسمع جيداً. من أجل هذا، عندما يسأل يسوع التلاميذ: من هو برأي الناس، يقول بعضهم بأنه واحد من الأنبياء، لكن بالحقيقة ليس كأبي نبي آخر، بل إنه رب الأنبياء كلهم.

متمم كل شيء:

لقب آخر يسوع هو الملاء، ولما أتم كل شيء وجب عليه أن يُسلم كل شيء، ولكون يسوع موسى الجديد لا بل أعظم من موسى لذا استحق أن يأخذ الكهنوت من سمعان ويسلمه لبطرس مع النبوة أيضاً لأنه ليس نبياً فقط كما عرفنا بل هو رب الأنبياء. ويسوع هو بشاراة الملكوت نفسها وهو الملك المسيا. إذاً يسوع هو رب الأنبياء والكاهن الأوحد والملك السماوي. وبعد هذه الألقاب الثلاثة يسوع لا يترك شيئاً دون أن يتممه فبعد أن تسلم الكهنوت والنبوة والملك، يستلم العماد ويتممه بفعل الروح، لأنه لا بد أن يولد الإنسان والماء وليس من الماء فقط، هكذا يكون مناسباً أن يدخل الملكوت الأبدي.

يهوه وسيد:

يستعمل مار أفرام كلمة الرب بمعنييها المختلفين، الإلهي عوض يهوه والمستعملة كثيراً في العهد القديم وما بعد العنصرة، وبشرياً حيث ليس المقصود بها معناها الإلهي، بل نوع من السيادة البشرية. فبعد أن استكثر الفريسي لقب النبي على يسوع، عاد يسوع وأجبره بالكلام اللطيف على أن يعترف به سيداً له.

ويضيف أحياناً للرب ألقاب: كرب الملائكة ورب النور، أما رب النور فهو لقب إلهي وكريستولوجي، وهو مستعمل كثيراً في الليتورجيا المشرقية. فمرات يكون المقصود الله الأب وأخرى المسيح، ولكننا عبرنا حاجز التمييز هذا لما رأينا أن يسوع المسيح هو الله نفسه، ومار أفرام يود أن يتلاشى هذا التمايز من خلال التركيز على إلهية يسوع المسيح.

الراعي الصالح:

يسوع الراعي الصالح الذي يترك التسعة والتسعين ويفتش عن الواحد الضائع. يسوع يريد تبشير الخراف الضالة من بني إسرائيل، لكن إعلان المرأة الكنعانية، إنها بحاجة إلى الخلاص حتى وإن لم من الخراف الضالة من بيت إسرائيل. أي أن الخراف الوثنية الضالة تطلب يسوع ليحدها ويبشرها. ولأن يسوع جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله، يعمل على تحويل البشرى إلى العالم أجمع، توجه لبشر الأمم الغربية التي تعجب من إيمانهم ولم يجد له مثال في كل إسرائيل. فمن لا يُعطي الثمر في أوانه يُترك كالكرم غير المثمر (إسرائيل). ويُعطى لآخرين يعطون الثمر في أوانه.

الطبيب المُحيي:

الطبيب من الألقاب التي نستطيع استنتاجها كثيراً من المعجزات التي اجتريها يسوع في الأناجيل. وهنا يخطر على بالنا كلام يسوع عن مجيئه من أجل الخطاة كما أن الطبيب هو من أجل المرضى، لذا يسوع هو الطبيب الذي لا يمنع أي مريض من الاقتراب إليه.

المعلم:

المعلم المضطهد، أو عبد يهوه المتألم، لقب كريستولوجي حاول فيه المسيحيون فهم معنى تألم ابن الإنسان على يد صالبيه. فيسوع المعلم ضروري لكي نكون تلاميذه.

ابن داود:

وأخيراً ابن داود لقب ذو وجهين، يسوع من نسل داود كسلالة بشرية، ويسوع ملك لأنه ابن داود مع أن داود نفسه تمنى رؤية المسيح. فيسوع هو ابن داود وفي ذات الوقت هو أعظم من داود.

ابن البشر:

وكما يستعمل مار أفرام لقب الرب بمعناه الإنساني هكذا يتكلم عن ابن الإنسان بمعناه الإنساني وليس الأواخري كما في دانيال، وهذا ما لا يفضلته مار أفرام، بل يرى في يسوع إلهاً أكثر مما هو إنسان.

المحصلة:

إذاً هذا هو المسيح الذي يقدمه لنا مار أفرام في ميمره هذا، إنه يفوق الكل، إن يأتي من الأب ليخضع كل شيء للأب، وخلال هذه المسيرة من الله الأب إلى الله الأب، يعمل يسوع على أن يكون أميناً للرسالة التي أوكل إليها، أو يمكننا القول أميناً تجاه نفسه، لأنه هو نفسه رسالة الله، يسوع هو موضوع البشارة، توبوا وآمنوا فقد اقترب ملكوت الله، يعني اقتراب المسيح الذي تواضع لا بل أخلى ذاته ليُصلب ويُقيم معه كل من يؤمن به لتكون له الحياة الأبدية.

كتابية الميمر

من خلال تحليل بعض الشواهد الكتابية، والتي تخص العهد الجديد، نجد أن مار أفرام يستعمل الديايطسرون، وإن كان لا يغفل عن الاستشهاد بالانجيل الأربعة كل على حدة. فهو يكثر من استعمال الأناجيل مفردة وخاصة عندما يتكلم عن خصوصية كل إنجيل. فمثلاً موضوع بشارة الملاك لمريم في لوقا، وخطب يسوع الطويلة في يوحنا، والبر في متى، والمجيء الثاني بحسب مرقس. ومن الأمثلة لاستعمال الديايطسرون (الأربعة أنجيل في واحد) يسوع يجتاز من ينوون قتله في الناصرة على سحابة من نار. وكذلك ذكر مريم وهو الاسم الذي يضعه الكثيرون على المرأة الخاطئة، ولكن القصة اللوقاوية لا تشبه تفصيلاً قصة مريم في بيت لعازر (بيتها) في يوحنا، وقصة المرأة مجهولة الاسم في بيت سمعان الأبرص في كل من متى ومرقس. ولكن مار أفرام هنا أيضاً يستخدم الديايطسرون ولربما أن في الديايطسرون قد تم دمج القصص، حيث أصبحت القصة كالاتي: مريم اخت لعازر تذهب إلى بيت سمعان الفرّيسي وتدهن يسوع بالطيب، فيغفر لها ويعد بأن ما عملته سيكون ذكرى دائمة.

إن أسلوب مار أفرام في شرحه الأمثلة والعجائب الكتابية، يجعله يضع ما هو إنساني في خدمة الإلهي، أي إنسانية يسوع تظهر في دعوته للوليمة ولكن ليس المهم هذا بل المهم إعلان إلهيته بقدرته على الغفران للخاطئة.

نجد في الميمر مفردات لا نجدتها دوماً ولدى جميع الكتّاب، فمثلاً الشفاء يمثل الحياة، والخلّاص هو الحنان الذي يمثل قمة الخلاص.

يبحث مار أفرام (على لسان يسوع) عن شهادات تصدر من أفواه خصومه، لكي لا يتشكّكوا بهويته. كما قال في المحاكمة: "أنت قلت". ولما يفكر الناس به أنه جدّف بقولهم: "الله وحده يغفر"، تمكن هو من الغفران. ومن هنا نشأ امتياز آخر لهذا الميمر ألا وهو موقف مار أفرام من اليهود!

اليهود في الميمر

من المعروف عن مار أفرام أنه عادى اليهود كثيراً، بسبب عدم أمانتهم لوعده الله بل قتلوا المخلص. وهذه المعاداة ليست بغريبة عن هذا الميمر الذي هو عن ربنا يسوع المسيح، حيث يشن الهجوم عليهم. وفي الميمر نقاط كثيرة يستعملها مار أفرام ضد اليهود:

- ❖ **التواضع:** لم يتعلم شعب يهو الجبار العظيم المتعال، التواضع، بل أن يمتازوا بالهمهم ويتكبروا على بقية الأمم. ولما جاء يسوع وعلمهم التواضع، بتركه عظمة السماء وتجسّده، استغربوا من تعليمه. في الميمر تُذكر العظام، ولكنها عظام للذين يهابونها وليس لمن يؤمنون بالله الذي يصنع المعجزات. وهذا حال شعب إسرائيل دوماً ومار أفرام يختصر إسرائيل بالفرّيسي. فالمذات هي عظام لشعب إسرائيل بينما يسوع ارتضى بالدموع التي لا تليق بالضيف. يلتجئ مار أفرام في بعض الأحيان إلى استعمال أسلوب الإنجليين في توبيخ من يحاول أن المركز، هكذا المرأة تُخلج الفرّيسي أمام الجمع، والأعمى من مولده يوبخ رؤساء اليهود وغيرها من الأمثلة.
- ❖ **العلامة:** مهمة جداً لدى اليهود ليصدقوا، ففي الكتاب المقدس شواهد كثيرة لطلب الآية لتصديق الرسالة. الملك حزقيا (٢مل ٢٠: ٨-١١)، والدا شمشون (قض ١٣) وغيرها من الشواهد. ولكن هناك علامات يريدّها الآخرون من صاحب الرسالة ليصدقوه، اليهود طلبوا دائماً آية من يسوع وهو كان يرفض أن يُعطي لهذا الجيل آية، ولما أعطاهم آية ما كانت سوى آية يونان، الموت.
- ❖ **قاتلون:** يسوع بإعطائه علامة الموت، يبرز مسؤولية اليهود الدائمة عن قتل رعاتهم.
- ❖ **التمرد:** الشعب الخارج من مصر إلى البرية تمرد بشدة واعتبر الله غير مسؤول عن تصرفاته تجاههم حيث غالباً ما كانوا يغضبون قائلين: لماذا أخرجتنا أَلْتَمِينْتَا هنا؟ لم يقل الشعب أنه متخاذل ولا يمكنه الاعتماد على قيادة الرب الحكيمة بل أوقع اللوم على قائده دوماً. وهذا ما فعل ابن إسرائيل (الفرّيسي)، حيث لم يفكر في نفسه أنه على خطأ، بل جعل يسوع كغير العارف بمن تكون هذه المرأة. الشعب المتنمر لم يعد يعرف سلوك الرب لوحده، بل هو بحاجة إلى قائد يقوده حتى لو كان صنماً. لذا فقد إيمانه ونسي كل ما صنعه الله له. إذاً أمانة الله تجاه شعبه، بقيت دائماً وأبداً على الرغم من خيانات الشعب المتكررة.
- ❖ **النبوة:** إن مفهوم النبوة لدى الشعب القديم، هو كشف الخفايا فقط، في حين أن يسوع كشف الخفايا ليس لكونه نبياً، بل لأنه استعمل لغة المحبة التي تطلب ويُعطى لها دون كلام.
- ❖ **الكرم المتروك:** إسرائيل الذي تمادى في تناوله على عهد الله، ولم يعد يتوب إليه كما في كل مرة، يجد ضالته الوهمية في الابن الوارث لكل شيء الذي جاء ليعيد الخراف الضالة من بيت إسرائيل. ولما لم تقبله خاصته، توجه ليبشر الأمم الغريبة التي كانت تطلبه، فتعجب من إيمانهم ولم يجد له مثلاً في كل إسرائيل. بعد قتله مُنح الكرم لغير اليهود.

مقارنة المتضادات في الميمر

غالباً ما يقارن مار أفرام في هذا الميمر، بين المتضادات، بين ما هو إلهي وما هو إنساني، بين الخير والشر، وحتى في المسيح ذاته وكما سنرى في الميمر، إنسانية يسوع هي خادمة لاهوته. لذا نجده على سبيل المثال أنه يميز بين شيئول والملكوت، الروحاني والجسداني، الولادة الجسدية الأولى والولادة الثانية الروحية.

في بعض الأحيان نرى ما هو دوني أو يود مار أفرام محاربتة يصبح في خدمة الخلاص. هكذا العماد بالماء للتطهير فقط والملك الأرضي والكهنوت الهاروني المرتبط بمكان وزمان معينين، والنبوة الأخيرة التي لم تكن لأجل الشخص الذي تنبأ با من نبأ لأجله، فبهذه الثمار الأربعة (العماد والملك والكهنوت والنبوة) سيتم الخلاص بيسوع المسيح، ولا يتوقف مار أفرام عند هذا الحد بل يستمر لجعل من اليهود الذي يشن عليهم هجوماً دائماً، واسطة لتحقيق الخلاص، حيث بقتلهم يسوع جعلوا رسالته ذات ثمر كثير.

السقوط والحياة:

يجعل مار أفرام من الذين يقعون سريعاً أمام تجارب الشيطان، أبناء حقيقيين لحواء الأولى، التي لم تكلف الشيطان وقتاً كثيراً ليوقعها بحبائله. ونقول حواء الأولى لأن مار أفرام يجعل من مريم حواء ثانية. فالمرأة هي السبب في موت وحياة الإنسان (حواء ومريم)، كما أن آدم الأول أباد الإنسانية وأدخل الموت إليها وادم الثاني خلّصها من الهلاك ووهبها الحياة الأبدية. ولا ننسى أهمية السماع لدى مار أفرام، فالخطيئة والخلاص دخلا العالم عن طريق الان (حواء سمعت إغواء الحية، ومريم اقتبلت بشارة الملاك).

ثم يتكلم مار أفرام عن الشجرة التي أوقعت آدم (شجرة معرفة الخير والشجر) جعلها ربنا علامة الخلاص (خشبة الصليب)، فالخشبة التي أمانت كشجرة عادت وأحيت كصليب. مفهوم يسوع كآدم الجديد، يعني العودة البشرية إلى طبيعتها الأولى. وأخيراً نجد مقارنة رمزية لأهمية الأكل، فهو الذي جعل الإنسان يخطئ قديماً (آدم وحواء أكلا الثمرة ونالا القصاص)، وهو جعله يحيا في الخروج (الحمل الفصحي) وفي الكنيسة على صورة الجسد والدم (من يأكل جسدي ويشرب دمي، فله الحياة الأبدية).

المختارون:

في الإنجيل يتكلم المسيح، عن سبق الزواني والعشارين على من يتصورون بأنفسهم أنهم أتقياء. وفي الميمر سيؤكد مار أفرام على البر الحقيقي الذي يزيد عن بر الكتبة والفريسيين. البر الذي جذب الوثنيين نحو الإله الواحد الذي كان يعبد اليهود، والبر لدى مار أفرام هو يسوع الذي قلب الآية وجعل الوثنيين يعلنوا إيمانهم به، بينما اليهود هرعوا لقتله ولبطخوا أيديهم بدمه البار.

الشريعة

في الكتاب المقدس وخاصة في العهد القديم غالباً ما يتم تشبيه عهد الله مع الإنسان بعلاقة الزواج، حتى أننا نجد سفر كسفر نشيد الأناشيد الذي يجسد هذه العلاقة. لذا فإن أي انفصال أو ابتعاد من الإنسان عن الله فهو زنى. ونقرأ في سفر التثنية عن الماء الذي يُختبر فيه من زنى.

أما الموضوع الثان فلا يقل أهمية عن العهد، لأنه إحدى علامات العهد القديمة بين الله والبشر بشخص إبراهيم، ولكن نظرة الله تغيرت كثيراً مع نهاية عهد شعب إسرائيل الذي تم تقرير سببه من قبل الأعداء، لم يعد الله يهتم بعملية الختان كما في السابق، لأننا نجده عندما يبتعد اليهود عن روحانية الختان، يطلب منهم ختان قلوبهم أفضل من ختان قلوبهم، وهذا ما كمله يسوع وبشر به فأمن به غير المختونين وختنوا قلوبهم.

يسوع والانبياء:

عندما يتحدث المير عن ظن الفرّيسي في يسوع، يلح مار أفرام في الكلام عن الفارق الموجود بين يسوع الذي استلم النبوة لأنه واهبها، وبين الأنبياء الذين تلقوا منه النبوة. إذن الفرق بين الأنبياء ويسوع في هذا المير يكمن في كون الأنبياء معلني كلمة الله، بينما يسوع فهو (كلمة) الله بذاتها. يسوع أعظم من الأنبياء لا بل إنه ربهم جميعاً.

مجد الله

في الكتاب المقدس يُذكر صوت الله دون أن يؤدي، أما الصورة فنحن نعلم أن الله يقول: "ليس هناك من يراني ويحيي". والصورة دوماً تثير العجب في الرائ. أما في قصة بولس فنجد مار أفرام يختار القصة التي تقول بأنه سمع الصوت ولم يرَ النور، احتراماً منه لطبيعة الله غير المرئية. إننا نرى مجد الله في أعماله ولا يمكننا رؤية مجد طبيعته، لأنه منظور بأعماله وغير منظور بمجد طبيعته. ويعلل مار أفرام سبب عدم رؤية مجد الله، لأن الشعب ما كان قادراً على أن يرى مجد موسى المجازي، حيث بات يلبس البرقع حين يحدثهم، فكيف لهم أن يروا المجد الأصلي ؟

العيون الإيمانية

إن الإيمان هو ما يجعل من الإنسان ثابتاً أمام الصعاب المفاجئة التي تباغت الإنسان، ولإن بولس لم يكن متهيئاً لهذا الشيء تأذت عيناه لما باغته الظهور المفاجئ للنور. ولتلافي المقارنة بينه وبين موسى، يذكر ثلاثة أمثلة (الشمس ودانيال والشمعة) ليبين فيها مار أفرام أن قوة النور لا تؤدي بسبب الغضب بل لعدم توافقه مع العين البشرية. ولكن بولس سيؤمن بالظهور، لأنه سمع دون أن يلتفت لما تراه العين البشرية، وهذا هو أساس الإيمان والخطوة الرئيسية لإتباع يسوع في طريقه. وبهذا سيصبح مار بولس مبشراً عظيماً بالقيامة لأنه اكتسب العيون الإيمانية.

يود المير تعليمنا بأنه على كل إنسان يريد أن يرى ما لا يرى، أن يتغاض عن عيون الجسد، لأن عيون الإيمان هي التي جعلت المرأة ترى في يسوع إلهاً فطوبها يسوع لإيمانها العميق، والتلاميذ يرون يسوع القائم من بين الأموات، وبها إنخطف بولس إلى السموات. أما العكس فنجد النتائج مغايرة، الفرّيسي ينعته يسوع بالأعمى لأنه لم ينتبه إليه ويعرفه، والحراس قبلوا الرشوة ولم يبشروا بالقيامة، أما بولس فتأذت عيناه لأنه نظر أولاً بأعينه الجسدية.

الفرّيسي وبولس:

يشبه مار بولس الفرّيسي لعدم تصديقهما العجائب التي قام بها يسوع الناصري وأتباعه. وكذلك بولس لم يرضخ إلا للصوت الضعيف: "شاؤل لماذا تضطهذي"، كذلك الفرّيسي لم يرضخ إلا للمثل المتواضع الذي بألفته اعترف بما أنكره بداية في يسوع. وأخيراً تكبر الفرّيسي يشبه تكبر شاؤل في قتل واضطهاد المسيحيين، أما تواضع ربنا فانتصر على كليهما بتواضعه. ومن خلال هاتين الصفتين ينتقل مار أفرام من قصة الفرّيسي والمرأة الخاطئة إلى قصة بولس الرسول.

الرموز

يتطرق المير إلى رموز عديدة نذكر منها قصر زكا الذي يأخذ معنى رمزياً لدى مار أفرام، فهو ليس قصراً مادياً بل قصر يرمز لعدم تمكن الإنسان من الوصول إلى يسوع بسبب الصعوبات التي تعترضه، وهكذا يتغلب كل الإنسان على صعوباته عندما يجاهد في سبيل أن يعمل ما عليه تاركاً الإتمام ليسوع الذي يخلص.

رمز آخر نجده في المير ألا وهو السفينة اي الكنيسة، فمع أن الكنيسة تحمل يسوع للناس أجمعين، لكن في الحقيقة يسوع هو من يحمل الكنيسة ويحميها ويضرب كل من يحاول أن يزعرها.

"من لا سيف له فليشتر سيفاً"، سيف المسيح عند مار أفرام هو الكلمة والحب والوفاق، حيث نقرأ: "ركب ربنا الكلمة كالقوس ووضع على رأسه الوفاق كالنبل، ومسحه بالحب مؤمن الأعضاء. ولما طار على الذي امتلاً شكاً تحول لساعته من الشك إلى الوفاق".

الشخصيات:

في الميمر يسوع هو موسى لا بل أعظم من موسى. فيسوع فاق موسى عظمة، ليس بإعطاء الشريعة بل بروح الشريعة المتواضعة. يسوع موسى الجديد، لذا استحق أن يأخذ الكهنوت ويسلمه لبطرس مع النبوة لأنه رب الأنبياء. كما ونجد نوعاً آخر من التفضيل، حيث يسوع المجد أعظم من داود، فإن كان داود أضطهد بالرؤية من شاول الأول، فيسوع لا يحدث له هذا مع شاول الثان بعد أن أيده الله بالقيامة. أضطهد يسوع قبل القيامة وردّ عليهم بأعمال عجائبية ليروا، أما الآن فلا يرد عليهم سوى بالكلام، يسوع بعد القيامة لا يجترح المعجزات بل يتكلم ويوصي. وبالكلام تمكن داود من تليين قلب شاول الذي كان يود قتله في كل فرصة.

كما ويربط مار أفرام بين سمعان الشيخ في الهيكل، وسمعان بطرس في البحر (متى ١٤: ٢٨-٣٢)، فسمعان الذي حمل إنسانية يسوع في الهيكل، عاد يسوع وحمله بالوهيته علانية في البحر، ليعلمه أن الإلهية كانت تحمله خفية ليستطيع أن يقترب من الإنسانية التي اتشحها ليستطيع المائتون الاقتراب منها. وإن كليهما نالا الموهبة والنعمة المعطاة لكليهما من ربهما، لكن سمعان الأخير يتفوق على الأول ليس بسبب الفارق في النعمة، بل لأن الشعوب الغربية والوثنية (ستسمع وتفهم) عكس شعب إسرائيل الذي مهما سمع فإنه لا يفهم لذا ترك ورذل كالكرم الذي لا يأتي بثمر.

نعمة المسيح في بولس المتمرس باليهودية والشريعة والغيرة الفريسية ضد أتباع الناصري، حولته إلى رسول أممي عالمي يختلف مع بطرس (الجاهل بالشريعة) ليؤسس كنيسة تستقل عن الممارسات اليهودية لا بل ويحاربها بما يعرفه عنها.

مقال مار أفرام عن ربنا

١

اقتربت النعمة من الأفواه المجذبة، وجعلتهم قيثارات مُجذبة. لذا كل الأفواه تعطي المجد للذي أوقفها عن التجديف. لك المجد يا من أخذ وحلّ من مسكن لمسكن، ليأتي ويجعلنا هيكلًا لمرسله. أخذ الوحيد من الإلهية وحلّ في العذراء^١. ليكون الوحيد أخاً للكثيرين بالولادة الجسدية. وأخذ من شيتول وحل في الملكوت ليمهد الطريق من شيتول ظالمة الكل إلى الملكوت مكافأة الكل. أعطى ربنا انبعاثه عربوناً للمائتين لينقلهم من شيتول مستقبله الراقدين دون تمييز إلى الملكوت مُدخلة المدعوين بامتياز. ليذهبوا من التي تساوي أجساد كل البشر فيها إلى التي تفصل أعمال كل البشر فيها. الذي نزل إلى شيتول وصعد يُدخلنا من التي تفسد غربائنا إلى تلك التي ترضع ساكنيها من تطويباتها. ساكنيها أولئك الذين كللوا وزيّبوا لهم هناك مظال لا تقنى من خلال الأملاك الفانية والورود الزائلة التي ها هنا^٢. البكر الذي ولد بحسب طبيعته ولد ولادة أخرى خارج طبيعته، لنعرف أنه بعد ولادتنا الطبيعية نحتاج إلى ولادة أخرى خارج طبيعتنا. إن الروحاني لم يستطع أن يكون جسدياً، حتى ولد جسدياً. وكذلك الجسداني إن لم يولدوا ولادة أخرى لا يمكنهم أن يكونوا روحانيين. الابن الذي لا تُحص ولادته ولد ولادة أخرى تُحص. فبالولادة الواحدة نتعلم لا محدودية عظمتة وبالأخرى نتعرف على طبيعته التي لا تُقاس. عظيمة هي ربوبيته ولا تُقاس، لأن ولادته الأولى لا تُصاغ في أيّ واحدة من أفكارنا. ونعمته فائضة هي، لأن ولادته الأخيرة (الأخرى) يُبشر بها من كل الأفواه^٣.

٢

الذي ولد من الإلهية بحسب طبيعته ومن الإنسانية خارج طبيعته ومن المعمودية لا كعادته^٤، لنولد نحن من الإنسانية حسب طبيعتنا ومن الإلهية خارج طبيعتنا ومن الروح لا كعادتنا، فالذي أتى للولادة الثانية ولد من الإلهية ليجلبنا نحو الولادة الجديدة. ولادته من الأب ليست لتُفحص بل ليؤمن بها، وولادته من امرأة ليست ليتجنس بل ليتعالى^٥. موت الصليب شهد على ولادته من امرأة، فمن مات ولد أيضاً. وبشارة جبرائيل تفسر ولادته من أبيه، قوة العلي تحل عليك. إذا هو قوة العلي فاعلم إنه ليس من نسل المائت. الحبل به في الرحم مرتبط بموت الصليب. وولادته الأولى مرتبطة بتفسير الملاك، من كفر بولادته يُكسر بصليبه، ومن اعتقد أن بدايته هي من مريم يخاصمون مبدأ أن إلهيته هي قبل كل شيء. فمن يرى أن بدايته هي بالجسد، يضل، لأنه من يخبر بنسله. ولده الأب وبه خلق البرايا، ولده اللحم وبه قتل الشهوات، ولدته المعمودية لكي تُبَيضَ به الأدناس، ولدته شيتول لتُتهب به ودائعها. جاء إلينا من أبيه عن طريق المولودين، وبطريقة المائتين خرج ليذهب عند أبيه. فقد جاء مولوداً ليُرى مجيئه ورجع مبعوثاً ليُثبت ذهابه^٦.

^١ را: ١-٢٨-٣٨.

^٢ را: ٦-٤٧-٥٩.

^٣ شينان جوهريان ينهنا إليهما هذان المقطعان: الأول التضاد الواضح والمميز في الأسلوب الرمزي الذي يستعمله دوماً مار أفرام. مقارنة جميلة بين شيتول والملكوت، وبين الروحاني والجسداني، وبين الولادة الجسدية الأولى والولادة الثانية (الولادة الروحية).

^٤ مت ٣: ١٤-١٥.

^٥ لا يزال التضاد موجوداً لكننا أمام أمر آخر، فالمقصود هنا هو الكلمة أي الهوية يسوع، حيث تغطي الإنسانية. فمار أفرام نجده دوماً يجمع بين الطبيعتين لكن غالباً ما تكون الإنسانية تجسداً لفهم إلهيته.

^٦ أول صفة كريستولوجية يحملها المسيح في هذا الميمر هي التجسد، فمن خلال هذه الصفة سيتمكن يسوع من نيل كل الألقاب المسيحية الأخرى. ففي التجسد مفعولين هنا: أولاً اقتراب الله من الإنسانية قريباً شديداً. وثانياً بإمكان الإنسان أن يقترب أكثر من الإلهية التي يتوق إلى رؤية مجدها.

^٧ إذا التعجب أمام السر صفة جوهرية لدى مار أفرام، فمهما حاول الإنسان التعمق في فهم الأسرار الإلهية يبقى حائراً وعاجزاً عن التعبير بالكلمات، فهو الشيء ونقيضه في آن واحد. فالتضاد ليس موجوداً في خليفة الله بمعنى مبدأ الشر والخير مادام الشيء الواحد يعطي معنى كلاهما.

سُحِقَ ربنا من الموت وعاد ومهد طريقاً فوق الموت. هذا هو الذي أُستعبد وحمل الموت بإرادته، لي طرح الموت الذي ليس بإرادته، حمل ربنا صليبه وخرج بحسب إرادة الموت، فصاح من أعلى الصليب وأخرج الموتى من شينول بعكس إرادة الموت^٨. بالشيء الذي قتله الموت، بنفس السلاح انتصر على الموت. اختفت الإلهية في الإنسانية واقتربت منه. قتل وقُتل، الموت قتل الحياة طبيعياً والحياة قتلته خارج الطبيعة. ولأن الموت لم يقدر أن يأكله دون جسد ولا شينول أن تبتلعه دون لحم، جاء للعذراء ليدير منها ما يحمله نحو شينول^٩. من الأتان جلب له محمولاً دخل أورشليم به. وبشر بخرابها وسلب أولادها. بجسد من العذراء دخل شينول ونهب كنوزها وسرق خزانها. وجاء عند حواء أم كل حي، الكرمة المتغور سياجها بيديها وذافت الموت بثمارها. لأن حواء أم كل حي صارت معين موت لكل حي. عوضت مريم الغرسة الجديدة عن حواء الكرمة القديمة، فبدأت بها الحياة الجديدة. فلما شاء الموت وجاء متكللاً كعادته على الثمار الميئنة^{١٠} يطمر له الأحياء قاتلوا الموت، فمتى ما يبتلعهم يخرجهم دون خوف مع كثيرين. طار واهب الحياة ونزل من السماء وامترج بالجسد الثمرة الميئة، ولما جاء الموت ليرعى كعادته ارتدت الحياة ضد الموت. هذا هو الأكل الذي جاع ليأكل أكله. بثمره واحدة ابتلعها الموت بجوع خرجت ثماراً كثيرة كان قد ابتلعها بنهم. جوعه الذي أسرع نحو واحد سرق نهمه الذي أسرع نحو الكثيرين. كان الموت نشيطاً لابتلاع الواحد، وسريعاً لإخراج الكثيرين. واحد على الصليب مات ومقبورون كثيرون خرجوا من شينول لصوته. الثمرة التي حملت الموت مبتلعها، أخرجت منها الحياة التي لأجلها أرسل. شينول أنكرت كل ما أكلته وبالواحد الذي لا يؤكل رُد منها ما أكلته. فمن تفسد نيته يطرح ما يطيب له مع ما لا يطيب أيضاً، كذلك فسدت نية الموت. ولما أخرج واهب الحياة الذي مرّره أخرج معه كذلك الأحياء المبتلعين منه بهناء^{١١}.

٤

هذا هو ابن النجار الماهر الذي نصب صليبه فوق شينول مبتلعة الكل، وعبر الإنسانية نحو الحياة، ولأنه بالخشب ذاته وقعت الإنسانية في شينول، فعلى الخشبة دخلت الحياة. بالخشبة التي أذيقنا المارة أذيقنا كذلك الحلاوة لنعرف الذي لا أضداد في خليقته^{١٢}. المجد لك يا من وضع صليبه جسراً فوق الموت لتعبر عليه النفوس من الموت إلى الحياة^{١٣}.

٥

تشكرك الشعوب التي أصبحت كلمتك مرآة أمامهم، ليروا بها الموت الخفي وهو يبتلع حياتهم. تتزين التماثيل من صناعاتها، وبزينتهم يُكرهون من زينتهم. أركضتهم نحو صليبك، فالذي زينة الجسد تمقت فيه، زينة العقل تتلذذ فيه. الشعوب التي كانت تركض خلف الآلهة التي ليست بآلهة، من هو الله ركض نحوهم. وبكلماته كما اللحم أرجعهم من آلهة كثيرة نحو الواحد. هذا هو القوي الذي كانت بشارته لجاماً على فكوك الشعوب، وهداهم من الأصنام نحو مرسله. الأصنام الميتة كانت تقود حياة ساجديها بأفواه مسدودة. لذلك دمك الذي أدهش الموت، ففرّ. مزجته بلحمهم لترتعب أفواه آكليهم من حياتهم. كذلك إسرائيل لأنه قتلك وتلطخ بدمك، لأجل دمك هرعت منه الوثنية المطعمة به. نفسها الوثنية فطمت منه بدمك، لأنه ما كان ليُفطم منها أبداً^{١٤}.

^٨ مت ٢٧: ٥٢

^٩ ليكون يسوع مخلصاً وجب عليه أن يتجسد، وليقوم من بين الأموات وبيعت معه كل الأموات، وجب على جسده أن يزوق الموت ككل البشر.

^{١٠} من يقعون سريعاً أمام تجارب الشيطان، كما فعلت حواء الأولى.

^{١١} إذا يسوع بقيامته وطى الموت وأقام كل الراقيدين، مبعثهم بالمجد ليهنوا بالحياة الأبدية.

^{١٢} الشجرة التي وقعت آدم جعلها ربنا علامة الخلاص، فالخشبة التي أماتت كشجرة عادت وأحييت كصليب.

^{١٣} يسوع آدم الجديد، لقب مسيحاني آخر، له من الأهمية ما يجعل الأمر عودة البشرية إلى طبيعتها الأولى حيث الإنسان في جنة الله العذنية (ملكوت الله).

^{١٤} الوثنيون الذين كانوا يتهافون وراء الأصنام التي كان اليهود يرفضونها لأنهم يعبدون الله الواحد، ولكن مع يسوع انقلبت الآية حيث الوثنيون أعلنوا إيمانهم بالرب يسوع، بينما اليهود هرعوا لقتل المخلص ولطخوا أيديهم بدم البار.

صلب إسرائيل ربنا على أساس أنه يحدينا من الله الواحد، وهم في كل حين يحدون عن الله الواحد بواسطة الأصنام الكثيرة. ولما اعتقدوا أنهم يصلبون من يحدهم عن الله الواحد، وجدوا أنه بيده يميلون عن كل الأصنام نحو الله الواحد. ولأنهم لم يعرفوه بإرادتهم أنه الله، عرفوه بأنه الله قسراً. الخير الذي حدث لهم بيده وبخهم على الشر الذي صنعته أيديهم^{١٥}. كذلك لسان الظالمين كفر لكن المعونة التي أُعِينُوا بها وبختهم. حملتهم النعمة فوق طاقتهم ليخجلوا، حيث يحملون خيراتك وينكرون أقنومك. كذلك أشفت عليهم لأنهم جعلوا من حياتهم رعية للأصنام الميَّنة. عجل واحد صنعوه في البرية رعى حياتهم كعشب البرية، الصنمية التي سرقوها بقلوبهم وخرجوا من مصر، قتلتهم علناً حين تجلت. فالذين حلت بهم خفية كانت كالنار المخفية في الخشب، فما أن تولد منه تحرقه. سحق موسى العجل ورماء لهم في البحر، ليموت بشرب العجل كل الذين حنوا للسجود له. أسرع نحوهم بنو لاوي الذين هرعوا نحو موسى وحضروا سيوفهم. لم يعرف بنو لاوي من يقتلون لأن الذين سجدوا اختلطوا مع الذين لم يسجدوا. من له (الرخصة) ليميز فصل الذين أوثقوا عن الذين لم يعبدوا العجل، ليعترف الأبرار أن نصرهم لم يعبر عن العادل، والمذنبون يستحقوا عدم تجاهل الديان لأخطائهم. بنو لاوي كانوا منتقمي العلن، فوضع علامة على الأثمين، ليكون دليلاً للمنتقمين لينتقموا. دخل مشروب العجل على الذين حلت عليهم محبة العجل، وأظهر عليهم علامة جليلة هرع نحوهم السيف المبروز، الجماعة التي زنت مع العجل، سقاها ماء الامتحان لتظهر فيها علامة الزنى. من هنا هرع الناموس على النساء ليشربوا مياه الاختبار، ليتذكر الشعب زناه مع العجل بالآية الموجودة في الزنى. والآية هي الحذر خوفاً من الآخر، وهي عهد أول للندامة. فلما يدينون نساءهم الزانيات ليدنوا أنفسهم الزانية ضد الله^{١٦}.

المجد لك يا من بصليبك قلعت الوثنية التي تعثر بها الوثنيون والمختونون. لك الشكر يا حياة الكل الذي اعتمد بعد حياة الكل وهداهم لرب الكل. يباركك الضائعون الذين وجدوا، أبهجت بإيجاد الضائعين الملائكة الذين وجدوا ولا يضيعون^{١٧}. يشكرك الوثنيون لأنه بأمنك أبتلعت العداوة التي في الوسط. وبجسدك أخذت الختان، العلامة المخلوقة التي بها يُعتقد بأن غير المختونين هم ليسوا لك مع أنهم ملكك. وضعت علامتك وهي ختان القلب^{١٨}، وبها عُرف المختونون الذين ليسوا لك. جئت لخاصتك وخاصتك لم تقبلك وبهذا انكشفت أنها ليست لك. والذين لم تأت إليهم يهتقون بمحبتك خلفك لتشبههم من الفضلات التي تقع من موائد البنين^{١٩}.

أرسل الله من الإلهية ليأتي ويوبخ الأصنام الذين ليسوا بالآهة. ولما أخذ منهم اسم الله الذي كان يزينهم، حينئذ تراءت عيوب أقنومهم، وهذه هي عيوبهم: لهم عيون ولا يرون، ولهم آذان ولا يسمعون. كرازتك سمحت لساجديهم بأن يبدلوا آلهتهم الكثيرة بواحد. وبأخذك اسم الإلهية من الأصنام، وكذلك السجود المرتبط بالاسم انتزعت مع الاسم، فمع اسم الإلهية يسير السجود كذلك. من أجل هذا هرعت إليه كل الشعوب وسجدت له. وفي الأخير جمع الاسم المسجود لدى ربه بالكمال، ومن أجل هذا الجمع للأخير يسجد لربه بالتمام، ليخضع له كل شيء، ثم عاد خاضعاً لمن أخضع له الكل. من درجة إلى درجة يصعد ذلك الاسم ليُربط بأصله، لترتبط كل

^{١٥} النعمة الداخلية التي لا يشعر الإنسان إلا بمفعولها هي التي كانت تدفع باليهود ليؤمنوا بالله بينما كان الرؤساء يتوقعون العكس تماماً.

^{١٦} تشبيه جداً وارد في العهد القديم حيث يتم تشبيه ابتعاد الإنسان عن الله بالزنى، حيث العهد الذي يربط الله وشعبه هو كعهد الزواج، أي خرق له يُعد زنى. أما ماء الاختبار فيعود إلى سفر التثنية.

^{١٧} يسوع الراعي الصالح الذي يترك التسعة والتسعين ويفتش عن الواحد الضائع.

^{١٨} لم يهتم الله إلا في البداية بعملية الختان، لأننا نجده عندما يبتعد اليهود عن روحانية الختان، يطلب منهم ختان قلوبهم، وهذا ما بشر به يسوع وآمن به غير المختونين فختنوا قلوبهم.

^{١٩} إعلان المرأة الكنعانية، يسوع جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله، يسوع يريد تبشير الخراف الضالة من بني إسرائيل، والخراف الوثنية الضالة تطلب يسوع ليجدها ويبشرها.

البرايا بمحبتهم، بالابن الذي بيده خُلِقُوا^{٢٠}. والابن مرتبط بمحبة الأب الذي ولد منه^{٢١}. وفي الأخير كل البرايا تشكر الابن الذي بيده قبل كل الخيرات وبه ومعه تشكر أبيه أيضاً الذي يوزع لنا الغنى من خزنته.

٩

لك المجد لأنك لبست جسد آدم المائت، وجعلته منبع حياة لكل المائتين. أنت الحي^{٢٢} الذي أصبح قاتلوك فلاحى حياتك. كالحنطة التي يزرعونها في الأرض لتتبت وتُتبت معها الكثير^{٢٣}. فلنجعل حبنا مبخرة الجمع الكبيرة ونعطر مزاميرنا وصلواتنا لمن جعل صليبه مبخرة للإلهية، وعطر دمه لأجلنا جميعاً. أدرك العلي للسفليين ليوزع لهم ودائعه. فالمحتاجين كانوا يقتربون من إنسانيته، لأنهم كانوا ينالون الموهبة من إلهيته. لأن الجسد الذي لبسه جعله مانحاً لغناه ويهب من خزانته يا رب، ويوزع للمحتاجين بنو جنسه^{٢٤}.

١٠

المجد لمن أخذ منا ليعطينا، ولكي بما لنا نزداد أخذ مما له. كذلك بواسطة الوسيط^{٢٥} استطاعت الإنسانية أن تتال الحياة من معينها، كما بواسطة الوسيط نالت الموت في البدء من قاتلها^{٢٦}. أنت يا من جعلت الجسد لك شمساً لتعطي به محبيك كل ما يرغبون به. القاتلون والدا فنون بلبسك الجسد المرئي تراءت من خلا لك إراداتهم الخفية. القاتلون بحجة جسدك قتلوك وقتلوا بك. والدا فنون بعلة جسدك دفنوك وبُعثوا معك. دفنك أحببتهم وبُعث معك إيمانهم. القوة التي لا تُجس نزلت واتشحت بأعضاء محسوسة، ليستطيع المحتاجون الاقتراب منه، كيما يجسوا إنسانيته فيشعروا بالإلهية. الأخرس بأصابع الجسد تحسس أنه أقرب لأذانه، وجس لسانه، لكنه بالأصابع التي تجس، شعر بالإلهية التي لا تحس. فكانت تحل عقدة اللسان، وتفتح الأبواب للأذان المسدودة. مهندس الجسد وصانع الجسم جاء إليه، وبصوته الشاعري عمل تقوياً في الأذان المطمومة دون ألم. والفم المقفل الذي لم يتمكن من توليد كلمة أنجب المجد لمن أخصب تنعمه بولادة الكلمات. فالذي أعطى آدم ليتكلم فجأة دون تعليم، أعطى الخرس أن يتكلموا بسهولة، اللغات التي تعلم بصعوبة.

١١

وهذه مسألة أخرى تجلت لنسأل: بأية ألسنة أعطى ربنا البكم ليتكلموا؟ فالذين جاءوا إليه هم من ألسن مختلفة. وإن كان هذا سهلاً لفهمها فهو يوجهنا نحو الأعظم منها. لنعلم أنه بالابن عُمِل الإنسان الأول، وبإعطاء الكلمة للبكم بنو آدم على يده يُعلم أن بيده أعطيت الكلمة لأبيهم آدم الأول. هنا أيضاً الطبيعة الناقصة اكتملت بربنا. ولوجوب اكتمال نقص الكيان، معلوم أن بيده يقوم ملء الكيان. فلا خسارة أعظم من هذا أن يولد الإنسان دون كلمة. إن بواسطة الكلمة نحن أغنى البرايا كلها، ف خسارتها أعظم الخسارات. فمن بيده اكتمل هذا النقص كله، فاعلم أن بيده يقوم الكمال كله. ولأنه على يده تقبل جميع الأعضاء الكمال كله في الرحم خفية، فنقصهم أيضاً يكتمل بيده علناً، ليُعلم أن بيده رُكب الجسم كله في البدء^{٢٧}. بصق على أصابعه ووضع بإذن الذي كان أبكماً^{٢٨}، وجبل

²⁰ المسيح هو من به خُلِق كل شيء.

²¹ المسيح هو ابن الله. هو الابن الوارث لكل شيء.

²² يسوع الحي لقب كريستولوجي ما بعد القيامة، البشارة العظيمة التي كُرزت بها في كل العالم "لقد قام، إنه حي".

²³ حبة الحنطة إن لم تمت وتُدفن في الأرض لن تُعطي ثمرأ، واليهود بقتلهم يسوع جعلوا رسالته مثمرة.

²⁴ الوحدة الموجودة بين الطبيعتين الإلهية والإنسانية، حيث الإنسان بحاجة ماسة لله ولكن لا يمكنه الاقتراب منه لذا الجسد الذي إتخذته أصبح واسطة يتمكن فيها الإنسان أن يقترب من الله بكل سهولة.

²⁵ يسوع المسيح هو الوسيط الوحيد بين الإنسانية والإلهية، لأنه إله حق وإنسان حق. (١ تيم ٢: ٥)

²⁶ مقارنة بين آدم الذي أدخل الموت للإنسانية ويسوع الذي أدخل الحياة لها.

²⁷ فانه خلق كل شيء بالكلمة (الابن).

²⁸ مر ٧: ٣١-٣٧

طيناً من بصفه ولطشها على عين الأعمى^{٢٩}. لِيُعْلَمَ أنه كما النقص موجود في حدقات الذي كان أعمى من بطن أمه، كذلك النقص موجود في آذان هذا. بخميرة من جسد الكامل اكتمل نقص جبلتنا، فليس من باب الحق أن يقطع ربنا شيئاً من جسده ويكمل نقص أجساد أخرى، بل بالشيء الممكن أن يؤخذ منه كمل نقص العاجزين، كما أن المائتين أكلوا الشيء الذي يؤكل، وكمل النقص واحياً الميتوتة، لِيُعْلَمَ أنه بالجسد الذي حل به الملاء اكتمل نقص العاجزين، ومن الجسد الذي حلت به الحياة أُعطيت الحياة للمائتين^{٣٠}.

١٢

عمل الأنبياء كل العجائب لكنهم لم يكملوا نقص الأعضاء في أي مكان، فنقيصة الجسد حُفظت لتكتمل بربنا^{٣١}. لتشعر النفوس أن بيده هو يكتمل كل نقص. فيجب على الفاهمين أن يشعروا أنه هو من يتم كل نقائص البرايا بمهارة الخالق. فلما كان ربنا على الأرض أعطى الطرش ليسمعوا، ويتكلموا ألسنة لم يتعلموها، حتى متى ما يُرفع^{٣٢} يعرفوا بأنه هو من أعطى تلاميذه أن يتكلموا بكل الألسنة^{٣٣}.

١٣

اعتقد الصالبون أن ربنا مات وماتت معه عجائبه، لكن تراءى أن عجائبه هي حية بتلاميذه^{٣٤}، لِيُعْلَمَ القتل أن رب العجائب حي. أثارت أولاً أقوال القتل بأن تلاميذه سرقوا جثته، فهيجتهم من بعد عجائبه بواسطة تلاميذه. التلاميذ الذين اعتقدوا بأنهم سرقوا الجثة الميتة، وجدوا بأنهم يحيون جثث الآخرين. فزر الكفرة وقالوا: تلاميذه سرقوا جثته، ليتحاشوا الخزي العتيد أن يتجلى. التلاميذ الذين سرقوا الجسد الميت من الحراس الأحياء وُجدوا بأنهم باسم المسروق يطردون الموت لئلا يسرق حياة الأحياء. أعطى ربنا الصم أن يسمعوا قبل أن يُصلب، حتى متى ما يُصلب تسمع وتؤمن كل الأذان بانبعائه. قدّم حقه لمسامعنا بكلام الصم الذين فُتحت آذانهم، لئلا تنقسم على بشارة الكلام. بكل الأشكال تزين مخلصنا لينجيننا من سابينا بكل الأحوال^{٣٥}. لم يلبس ربنا الجسد فقط، وإنما الأعضاء كذلك انتشعها كلها مع الثياب. كيما بأعضائه وثيابه يتشجع السقيمون للاقتراب من كنز الصحة. ليقترّب من جسده الشجعان بمحبته، والمرعوبون من مخافته يقتربون من ملبسه. لواحدة حتى طرف ثوبه سمحت لها رهبتها بالاقتراب^{٣٦}، وأخرى حتى جسده (لحمه) جرأتها محبتها على الاقتراب^{٣٧}. بالتّي اقتبلت الشفاء من ثيابه وُبخوا الذين لم يقبلوا الشفاء من كلماته. وبالتّي قبّلت رجله فضح الذي لم يشأ أن يقبل شفاهه^{٣٨}.

١٤

أعطى ربنا العظام بالصغائر، لِيُعْرَفَ مما جُردوا أولئك الذين احتقروا الكبائر. إذا مثل هذا الشفاء سُرق خفية من طرف ثوبه، فمن يُؤهل لكلمته الشافية التي تُعطى بجساره. وإذا بتقبيل رجله تقدست الشفاء الدنسة، فكم يتقدس الواحد إذا قبل فمه الشفاء

²⁹ مر ٢٢: ٢٦-٢٧

³⁰ يسوع المسيح ليس حياً فقط بل إنه المحيي، فهو يعمل المعجزات ليس ليشفي فقط بل ليحيي أيضاً.

³¹ إن الفرق بين الأنبياء ويسوع يكمن في أن الأنبياء أعلنوا كلمة الله، في حين يسوع هو كلمة الله بذاتها.

³² يسوع هو الصاعد عند مجد الأب والجالس عن يمينه.

³³ يسوع وعد بالروح ومنحه، وبمنحه الروح تمكن التلاميذ من التكلم بألسنة عديدة.

³⁴ لقد وعد يسوع التلاميذ دوماً بأنهم سيعملون أعمالاً أعظم منه إذا ما آمنوا به.

³⁵ يسوع المسيح هو المحرر، حرر الإنسان من الخطيئة التي بها يستطيع الشرير سبيها.

³⁶ مر ٢٥: ٢٩، مت ٩: ٢٠-٢٢، لو ٨: ٤٣-٤٨.

³⁷ لو ٦: ٣٧-٥٠.

³⁸ يتخذ مار أفرام من هذين المثلين انطلاقة للحديث عن الجرأة في سلب الشفاء من يسوع، حيث الإيمان الراسخ يكون القاعدة التي يكررها دوماً يسوع "إيمانك شفاك".

الطاهرة. الخاطئة اقتبلت نعمة الأرجل الغافرة بالنقبيل، عوض أن تتعب وتذهب ليعطيها مغفرة الخطايا^{٣٩}. طيبت رجلي شافيتها بالطيب المجاني، لأنه مجاناً حمل خزنة الشفاءات لأوجاعها. ليس من أجل بطنه دُعي مشبع الجائعين، بل من أجل توبة الخاطئة لأنه من نفسه يبرر الخطأ^{٤٠}.

١٥

لم يجع ربنا لملذات الفريسي، بل جوع كان لدموع الخاطئة. ولما شبع واستراح من الدموع التي جاع لها، رجع ووبخ الذي دعاه للوليمة الزائلة، ليريه أنه لم يُدعَ لطعام الجسد بل لإعانة الضمير. ليس من أجل التمتع اختلط ربنا بالآكلين والشاربين كما تصور الفريسي، بل بمائدة المائتين خلط لهم تعليمه^{٤١} كالحياء. كما أن الشرير بحجة الأكل أعطى مشورته الكريهة لبنت حواء، هكذا الصالح بحجة الأكل أعطى مشورته الحية لبني آدم^{٤٢}. الصياد الذي نزل ليصيد حياة الضائعين، وجد العشّارين والزناة يركضون وراء الضلال والثمالة. فأسرع ونشر سهامه بين ملاجئهم، حتى يصيدهم من الأكل مُسمّن الجسد إلى الصوم مُسمّن الأرواح.

١٦

صنع الفريسي العظام لربنا في وليمته، والخطئة عملت له الصغائر هناك. قليل المحبة لربنا طعم عظامه بالملذات. وهي أطعمت ربنا وفرة حبها بالدموع^{٤٣}. زُجر من كان دعاه للوليمة العظيمة بسبب قلة محبته. ومزقت هي بدموعها الصغيرة صكوك ذنوبها الكثيرة. سمعان الفريسي قبل ربنا كنبي^{٤٤} بسبب العجائب وليس بسبب الإيمان. إنه ابن إسرائيل كلما تقترب العجائب كان هو يقترب من رب العجائب، وعندما تتوقف العجائب يتجرد هو أيضاً لأنه واقف دون إيمان. كذلك هذا لما رأى ربنا عند العجائب اعتبره نبياً، ولما توقف ربنا من العجائب ساوره شك بني إسرائيل. "لو كان هذا نبياً لعرف أنها خاطئة". ربنا الذي في كل مكان له كل شيء سهل، هنا أيضاً لم يكف عن العجائب. رأى أنه بسبب إهماله للعجائب قليلاً، انحرف تفكير الفريسي الأعمى. ضلالاً قال: "لو كان هذا نبياً لعرف". بهذا التفكير شكك الفريسي بأن ربنا ليس نبياً، وبنفس التفكير تعلم بأنه رب الأنبياء^{٤٥}. من حيث دخل عليه الضلال أدخل عليه ربنا المعونات^{٤٦}.

١٧

ضرب له ربنا مثل المدينان وجعله وسيطاً، حتى يصطاد الذي لا حق في قلبه من لسانه. شخص مُدان خمسمئة دينار، هنا وضع ربنا للفريسي غزارة خطاياها. الفريسي الذي اعتقد بأن ربنا لم يعلم بأنها خاطئة، وُجد بأنه يسمع منه كم هو جزاء خطاياها. الفريسي الذي تصور بأن ربنا لم يعرف من هي وما شأن هذه الخاطئة، وُجد بأنه هو من لا يعرف من هو وما شأن ربنا. بُكّت بضالته من لم يكن شاعراً بضلاله. والضلال ضلل الغاوي ليعلم أنه ضلّ ضلالاً، فقبل تذكراً من الذي جاء ليُذكر المتغافلين. رأى

³⁹ يسوع المسيح هو الغافر.

⁴⁰ قلنا أعلاه أن أسلوب مار أفرام في شرحه الأمثلة والعجائب الكتابية، يضع ما هو إنساني بخدمة الإلهي، أي إنسانية يسوع تظهر في دعوته للوليمة ولكن ليس المهم هذا بل المهم إعلان إلهيته بقدرته على الغفران للخطئة.

⁴¹ يسوع دوماً هو المعلم، وإلا كيف نكون تلاميذه؟

⁴² مقارنة رمزية لأهمية الأكل، فهو الذي جعل الإنسان يخطئ قديماً، وهو جعله يحيا في الخروج وفي الكنيسة على صورة الجسد والدم. كما وتوجد مثل هذه التشبيهات كثيراً لدى مار أفرام فالمرأة كانت السبب في موت وحياء الإنسان (حواء ومريم) آدم الأول أباد الإنسانية أما آدم الثاني خلصها من الهلاك.

⁴³ العظام التي يذكرها هنا هي بالنسبة لمن لا يؤمنون بل يهابون العظام، وهذا حال شعب إسرائيل دوماً والذي يختصره مار أفرام بهذا الفريسي. مار أفرام معروف بعباده ومهاجمته لليهود. لذا الملذات هي عظام لشعب إسرائيل بينما الدموع لا تليق بالضعيف. بينما الرب سيغير هذه الآية ويقبلها رأساً على عقب.

⁴⁴ يتبين أن يسوع هنا هو نبي، ولكننا سنرى فيما بعد أنه ليس نبياً فقط بل إنه أعظم من نبي، إنه رب الأنبياء.

⁴⁵ إنه اللقب الحقيقي الذي يستحقه المسيح لو ربطناه بما سيأتي في النهاية عن أخذ يسوع النبوة من سمعان الشيخ.

⁴⁶ الفريسي كصورة لشعب إسرائيل والتي يحاربها مار أفرام، يبدو هنا وكأنه في البرية، يؤمن بإله المعجزات وليس بالله المحرر، فأنه أفنى الشعب الخارج من مصر بسبب عدم إيمانه، ووهبه لاثنتين فقط ممن كانوا في مصر. هكذا هنا يسوع يعطي النعمة لمن آمن به رباً (المرأة) ويُعطي من يعتبره رباً وقت المعجزات.

الفرّيسي عجائب عظيمة بواسطة ربنا، مثل إسرائيل بواسطة موسى، ولكن لعدم وجود الإيمان المرتبطة به كل العجائب التي رأى، أبطلها سبب صغير منافٍ، "لو كان هذا نبياً لعلم أن هذه خاطئة"^{٤٧}. ترك هو العجائب التي رأى ودخل العمى عليه من وقت قصير. ابن إسرائيل الذي أسعفته العجائب الشديدة حتى يخاف البحر منه، والآيات المباركة أحاطته في البرية القفر ليأتمن، لكن لعدم وجود الإيمان أنكروها بحجة صغيرة: "موسى هذا الذي أصعدنا لا نعلم ما حدث له"^{٤٨}. دعنا نلاحظ النجاحات المحاطة به، الشعب رأى أن موسى غير قريب، وبهذه الحجة اقترب من وثنية مصر. جُرد موسى قليلاً من أمامهم، ليتراءى العجل الذي أمامهم ليسجدوا له علناً وإن كانوا خفية يسجدون له في قلوبهم.

١٨

لما تجلّت وثنيّتهم من الخفاء تراءى موسى من الخفاء علناً، ليعطي العقاب علانية للذين كانت وثنيّتهم تُزعزع تحت السحابة المقدسة التي كانت تظللهم. خطف الله الراعي من الرعية أربعين يوماً، لنُظهر الرعية أن اتكاليها مربوط بالعجل. كما أن رعية الله كانت ترعى بكل شكل، جعلت الثور راعياً لها، وهو لا يستطيع أن يرعى نفسه. جُرد منهم موسى مرهبهم، لتهتف من أفواههم الوثنية التي أبطلت خوف موسى من قلوبهم. صرخوا: "اصنع لنا آلهة تسير أمامنا"^{٤٩}.

١٩

ولما نزل موسى رأى أن البرية الواسعة ضجّت بدفوف وصنوج ووثنيّتهم، فأسرع وقمع هيجانهم باللاويين والسيوف المُستلّة. هنا أيضاً لما اقتربت منه الخاطئة، أخفى ربنا معرفته قليلاً، ليُصاغ بالفرّيسي تفكيره، الفرّيسي كالعجل النتن الذي صاغه آبائه. ولما تجمع في الفرّيسي ضلاله، تجلّت عليه معرفة ربنا وبددته. دخلت بيتك وماء لرجلي لم تعط، أما هي فبالدموع بللتها لذلك مغفورة لها خطاياها الكثيرة. ولما سمع الفرّيسي أنه وصف خطاياها بالخطايا الكثيرة، تعب كثيراً لأنه ضلّ كثيراً واعتقد بأن ربنا لم يعرف أنها حتى خاطئة. أظهر ربنا نفسه أولاً أنه لا يعرف هذه الخاطئة، وأطلق العنان للذي رأى عجائبه بأن يظهر ارتيابه، ليُعرف بأن فكره مربوط بكفر آبائه. الطبيب الذي يُظهر المرض بأدويته من الخفاء إلى العلن، ليس معيناً للمرض بل مبيداً له. المرض المخفي يسيطر على الأعضاء، ومتى ما يُظهر بالأدوية يُستأصل. عظام رأى الفرّيسي، وأرتاب بالصغار. ولما رأى ربنا بأن الدنيا احتقرت العظام في عقله، أسرع فأعلمه بأنها ليست خاطئة فقط بل وخطاياها كثيرة أيضاً، ليخجل بالدنيا من لا يؤمن بالعجائب.

٢٠

أمهل الله إسرائيل لينشر وثنيّته في البرية الواسعة، ليتوبه الله بالسيف المسلول لئلا يذيع وثنيّته بين الأمم. أطلق ربنا العنان للفرّيسي ليتصور السيئات، ليعود هو ويويخ المتكبر بصلاح، من أجل ما كانت عمله الخاطئة بصلاح، فالفرّيسي كان يفكر العكس. رجع ربنا وزجره على الصالحات التي أنكرها بمكر. دخلت بيتك ولم تعطني ماءً لرجلي، هذا جحد للوليمة. وهذه بالدموع بللتهم، وهذا مجازاة الوليمة. أنت بالزيت لم تمسحني، وهذه علامة الاستخفاف، وهذه بدهن الطيب مسحت رجلي وهذه علامة الحفيظة. أنت لم تُقبّلني وهذه شهادة الكره، وهذه لم تتوقف من تقبيل قدمي، وهذه علامة الصحبة. (ظن أن ربنا أظهر هذه كلها التي تدّين الفرّيسي لربنا وأنكرته). دخلت الخاطئة وعوضت كل شيء أنكره الفرّيسي، ولأنها برهنت ذنوب الظالم غفر لها الصالح دّين خطاياها^{٥٠}.

^{٤٧} مثل الشعب في البرية الذي كان يتنمّر على الله فيفقد إيمانه وينسى كل ما صنعه الله له.

^{٤٨} خر ١: ٣٢.

^{٤٩} الشعب المتنمّر لم يعد يعرف سلوك الرب لوحده، بل هو بحاجة إلى قائد يقوده حتى لو كان صنماً.

^{٥٠} إنه السباق الذي يتكلم عنه المسيح، حيث الزواني والعشارون يسبقونكم، وهذا هو البر الذي يزيد عن بر الكثرة والفرسيين.

لما كان الفريسي يشك بأن ربنا ليس نبياً، رهن نفسه للحق دون أن يشعر. "لو كان هذا نبياً لعرف أن هذه خاطئة". فلو تمكن ربنا أن يعرف بأنها خاطئة، لكان نبياً بحسب كلامك أيها الفريسي، أسرع ربنا وأظهر بأنها خاطئة ووفيرة الخطايا أيضاً ليتفاجئ الكاذب بشهادة فمه. فأصبح صديقاً للقائلين "من يستطيع أن يغفر الخطايا غير الله فقط"^{٥١}. فأخذ ربنا منهم هذه الشهادة: من يستطيع أن يغفر الخطايا فهو الله، من هنالك صار هذا الصراع، ليريه ربنا إن كان باستطاعته أن يغفر الخطايا أم لا؟ عجل وشفى الأعضاء المرئية لتثبت أنه غفر الخطايا غير المرئية. ألقى ربنا أمامهم كلمة توعدهم لقائلها بالسجن، ولما ركضوا ليحبسوه كإرادتهم حبسوا له هم بإرادته. "لا تخف يا بني مغفورة لك خطاياك"^{٥٢}، فهم عجلوا ليحبسوه بسبب التجديف أهدوا نفوسهم لحقيقته دون أن يشعروا. "من يستطيع مغفرة الخطايا غير الله فقط"^{٥٣}. أنبهم ربنا بقوله: لو أظهر قدرتي في مغفرة الخطايا فلن تؤمنوا بأني الله، اثبتوا على كلامكم الجازم بأن الله يغفر الخطايا. وليعلمهم ربنا بأنه يغفر الخطايا، غفر للمقعد خطيئته الخفية، وحمله فراشه علناً. ففي الفراش الحامل الذي حمل، يؤمنون بأن الخاطئة القاتلة قُتلت. هذا هو العجب، فربنا كان هناك يلعب نفسه ابن الإنسان^{٥٤}، لكن أعدائه دون شعور منهم جعلوه الله غافر الخطايا. فلما اعتقدوا بأنهم صدوه بمكائدهم، صداهم هو بمكائدهم لما أذاع مكائدهم وجعلها شهادة لحقيقته. أفكارهم الشريرة أصبحت لهم وثاقهم الشديد. ولئلا يحلوا أنفسهم من وثاقهم شدهم ربنا بما شد من قال له: "انهض احمل فراشك وامض للبيت"^{٥٥}. فلا يمكن أن تهمل شهادة أنه لم يصبح إلهاً لأنه غفر الخطايا. فلا يكذب أنه لم يغفر الذنوب، لأنه شفى الأعضاء. ربط ربنا شهادته الخفية بالعلنية، لتخفق الكافرين شهادتهم. جعل ربنا أفكارهم تحارب ضدهم لأنه حاربوا الصالح الذي حارب بشفائه أوجاعهم^{٥٦}. فما اعتقده سمعان الفريسي وما اعتقده الكتبة رفاقه سرّاً كشفه ربنا علناً. صاغ ربنا أفكارهم الخفية أمامهم ليتعلموا أن معرفته هي مرآة تظهر خفاياهم، حتى وإن لم يروه بعجائبه العلنية فيروهم وهو يتصور أفكارهم الخفية. حتى ما أن يفحص قلوبهم تتشعر قلوبهم بأنه هو الله. فلما رأوا أنهم لا يستطيعون أن يخفوا عنه أفكارهم، توقفوا عن التفكير به سوءاً. فكروا به في قلوبهم شراً لكنه فضحهم علناً بقوله: "لماذا تتصورون الشر في قلوبكم"^{٥٧}. فبرؤية ربنا لأفكارهم الخفية يرون هم إلهيته الخفية. هذه هي الإلهوية بالشيء الذي يكفر بها الضالون، بنفس الكفر تُعرف لهم. بالجسد جحدوا بربنا واعتقدوا أنه ليس الله، وألقوه من فوق إلى الأسفل، وبذات الجسد أصبح معروفاً لهم بأنه الله لأنه وهو بينهم وُجد مجتازاً. هذا ما أظهره بإلقائه إلى الأسفل أن الله الذي فوق لا يولد جسدياً في الأسفل، وهو بإسراعه نحو السماء علمهم بأن الجسد الملقى في الأسفل ليست طبيعته، بل عليه أن يسرع للسماء أكثر من الأرض. فبالجسد الذي من الأسفل طار عالياً في الهواء^{٥٨} يتعلمون أن الله نزل من فوق للأسفل بطبيعته^{٥٩}.

لماذا عوض التقرع العنيف، أعطى ربنا للفريسي مثل التوسل؟ أعطاه مثلاً هادئاً ليُغير المعوج ويصلح اعوجاجاته دون أن يشعر. المياه التي تتصلب نتيجة قوة الريح الباردة، وأشعة الشمس تذيبها بهداوة. لذلك لم يشأ ربنا أن يقسو حالاً، لئلا يعطي المجال

⁵¹ انتقالة رائعة بين مثلين يغفر فيهما ربنا الخطايا، الفريسي لا يقولها علانية لكن كلامه يفصحها ويجعله فريسيًا بين الفريسيين.

⁵² مر ٢: ٥

⁵³ مر ٢: ٧

⁵⁴ اللقب هنا ليس بمعناه الأخرى بل بمعناه الإنساني البحت، وهذا ما لا يفضلته مار أفرام، بل يرى في يسوع إلهاً أكثر مما هو إنسان.

⁵⁵ مر ١١: ٢

⁵⁶ يبحث مار أفرام (على لسان يسوع) عن شهادات بغم خصومه، لكي لا يتشكروا بهويته. كما قال في المحاكمة: "أنت قلت".

⁵⁷ مت ٩: ٤

⁵⁸ هذا ما نقرأه في الديابلسرون (الأربعة أناجيل في واحد) حيث يجتازهم يسوع على سحابة من نار. وقد يكون المقصود أيضاً الصعود ما بعد القيامة.

⁵⁹ جملة قد لا يستسيغها الكثيرون اليوم حيث اللاهوت عاد إلى التعليم انطلاقاً من ناسوت المسيح الذي هو طبيعته وليس تقمصاً. ولكن يجب أن نتذكر كلما قرأنا لمار أفرام أن الإلهوية أهم بكثير من إنسانية يسوع، فالإنسانية اتخذها الله الكلمة فقط ليستطيع التعبير عن إلهيته بطريقة تلائم البشرية.

للمُتَمَرِّدِ أن يتمرّد. لطفه وأدخله للقيد، لأنه متى ما يُلجم يعمل بالمتمرّد ما يشاء. لأن سمعان فكرَ بكبرياء، بدأ ربنا معه بتواضع لئلا يكون المعلم كالجاهل. إن كان هذا الفرّيسي اقتنى كبرياء الفرّيسيين، فكيف يقدر ربنا أن يعلمه التواضع. مع أن كنز التواضع لم يكن تحت يده، فقد كان ربنا يُعلّم التواضع لكل البشر. أظهر بأن خزينته فقيرة بأنواع التكبر. وهذا من أجلنا ليعلمنا بأن الخزائن التي يدخل إليها الكبرياء، يسيرها جميعاً بمفاخرته. لذلك لا تعرف شمالك ما تصنع يمينك. لم يستعمل ربنا التوبيخ القاسي، لأن مجيئه كان للطيبة، لم يُسكّت التوبيخ لأن مجيئه الأخير^{٦٠} هو للمجازاة^{٦١}. أخافهم بمجيء التواضع، لأن الخوف هو للوقوع بين يديه متى ما جاء بشعلة النار. وقرّة معونات ربنا أعطاه بالتوسل أكثر مما بالقسوة. الرذاذ الناعم يخلخل الأرض فتطير جملة، والمطر الشديد يقوّي ويُقسّي وجه الأرض لئلا تستقبله. الكلمة القاسية توقظ الغضب، وبالغضب ترتبط الأضرار. ومتى ما الكلمة القاسية تفتح الباب يدخل الغضب، وعقب الغضب تدخل الأضرار.

٢٣

لذلك كل المعونات ترافق الكلمة المتواضعة، وهذه الكلمة استعمل من جاء ليعين. انظر كم هي حصينة قوة الكلمة المتواضعة، فيها يُخمد الغضب الشديد، وبها تُهدأ أمواج الفكر الهائج. اسمع ما اعتقده الفرّيسي: "لو كان نبياً لعرف". سخريّة وكفراً يُخبر هنا. اسمع ماذا أبدع ربنا ضد هذا: "يا سمعان اسمع لي شيئاً أقوله لك"، محبة وصلاح يُذاق هنا. هذه هي كلمة المحبة التي بها يتعامل المحبون مع أحبابهم. فالعدو عندما يوبّخ عدوه لا يقول له مثل هذا. فهيجان الغضب لا يقبل، بأن يتكلم الأعداء بعقل مع بعضهم البعض. فالذي كان عليه أن يواجه صالبيه، ولكي يعلمهم بأن الغضب لا يتسلط عليه، فهو عتيد أن يصبح مُعذّب صالبيه ليُظهر بأنه يُخدم بالتمييز وليس بالغضب^{٦٢}.

٢٤

وضع ربنا على رأس مثله كلمة الوفاق، ليؤمن بواقفه الفرّيسي الذي عمل الشك والانقسام في فكره. هذا هو الحكيم الذي يطلق معوناته ضد عداوتنا. ركّب ربنا الكلمة كالفوس ووضع على رأسه الوفاق كالنبل، ومسحه بالحب مؤمن الأعضاء. ولما طار على الذي امتلاً شكاً تحول لساعته من الشك إلى الوفاق^{٦٣}، وعقب هذه النبيرة المتواضعة لربنا لما قال: يا سمعان لي شيء أقوله لك؟ بهذا النداء أجاب فاضح المستور بقوله: "ربي"^{٦٤}، دخلت النبيرة الجميلة في الفكر الشرير، وأثمرت منه ثمراً لذيذاً، هذا الذي كان قبل النعمة، محتقراً للخفي، أصبح كلمة مكرمة للجلاء. التواضع ومن خلال لسانه الجميل حتى أعدائه ينصفونه بخضوع مكرم. فالتواضع لا يفحص قوته بمحبيه بل بكارهيه يُظهر انتصاراته.

٢٥

لبس الملك السماوي سلاح التواضع وانتصر على المُتَمَرِّد^{٦٥}. وأخذ معه الجملة الجيدة كعربون حقيقي. هذا هو السلاح الذي قال عنه مار بولس: "به نُزّل العُلَى الصاعد ضد معرفة الله"^{٦٦}. بولس أخذ تجربة عن نفسه، فكيف ما كان يحارب بكبرياء وغلب

^{٦٠} المجيء الأواخرى جداً مهم فهو مرتبط بقلب يسوع الأواخرى والخلاص الأواخرى بذات الوقت.

^{٦١} لا يفكر هنا مار أفرام إلا بتفكير مرقس عن المجيء الثانى، فمجيء المسيح الثانى ليس للدينونة بل ليجمع مختاريه.

^{٦٢} موعظة يسوع على الجبل فيها الكلام الكثير عن مبدأ التسامح وعدم معاملة الآخر بالمثل في حالة الإساءة وحب العدو والصلاة من أجله. ولكن هناك قول أقرب لمار بولس الذي يقول: إن أطعمت عدوك وأسقيته تكون قد وضعت الجمر على رأسه.

^{٦٣} إنه السلاح الذي يقول عنه يسوع من لا سيف له ليشتري له سيفاً.

^{٦٤} ليس المقصود من هذه الكلمة معناها الإلهي، بل نوع من السيادة البشرية. فبعد أن استكثر الفرّيسي لقب النبي على يسوع، وعاد يسوع وأجبره بالكلام اللطيف بأن يعترف به سيداً له.

^{٦٥} الملك السماوي لقب أواخرى للمسيح، عندما يظهر في آخر الأزمنة منتصراً على العدو المتمرد (الشيطان وقواته).

^{٦٦} ٢كور ١٠: ٥.

بالتواضع، هكذا يخسر كل من يتعاطم بتعالٍ ضد هذا التواضع^{٦٧}. شاول الذي ذهب ليعذب التلاميذ بأصوات قاسية، بصوت متواضع أخضعه رب التلاميذ^{٦٨}. ولما تجلّى له القادر على كل شيء ترك كل شيء وتكلم معه فقط بالتواضع، ليعلمنا أن أكثر شيء ينفع للعقول الفظة هو اللسان الهادئ. لا التهديدات ولا التخويف كانت ستخضع بولس، بل الأصوات الضعيفة التي لا تستطيع أن تنتقم لنفسها. "شاول، شاول لماذا تضطهدين؟" الأصوات التي يُعتقد بأنها لا تستطيع أن تتأثر من نفسها وُجدت بأنها تنتقم وتأخذ من اليهود للميناء الصالح. الذي كان ممثلاً من إرادة اليهود المتمردة، امتلاً من بشارة الصليب الجميلة. لما كان ممثلاً من سم الصالبيين أفرع الكنائس بمرارته. ولما امتلاً من حلوة الصليب، مرّ مجامع الصالبيين^{٦٩}. بأصوات متواضعة صارح ربنا مع من حارب كنائسه بقيود قاسية. شاول الذي كان يُقيد التلاميذ بقيود قوية، قُيد بتوسلات شفوفة لئلا يُقيد التلاميذ مرة أخرى. قُيد بالصليب مُوبّخ الشرور، الذي كل من يُسمرون عليه لا يمكنهم أن يقيدوا أو يضربوا. ولما توقف بولس من وثاق التلاميذ، قُيد بسلاسل من قبل الموتقين. ولما كان مقيداً بالسلاسل كان يحلّ أربطة الوثنية بواسطة قيوده.

٢٦

"شاول، شاول لماذا تضطهدين؟" الذي غلب المضطهدين في الأرض وملك على الملائكة في السماء^{٧٠}، تكلم من السماء بصوت متواضع، فلما كان على الأرض أعطى عشر ويلات لصالبيه، ولما صار في السماء لم يعط لبولس مضطهده ولا ويلة. أعطى ربنا الويل لصالبيه ليعلم التلاميذ ألا يزعموا قاتليهم، وتكلم ربنا من السماء بتواضع ليتكلم رؤساء كنيسة بنفس التواضع. وإن قال أحدهم كيف تكلم ربنا بتواضع مع بولس، وعيناه تأذنا بقسوة؟ نعلم بأن هذا الضرر ليس بسبب ربنا الذي تكلم بتواضع هناك، بل بسبب النور القوي الذي أشع هناك بشدة^{٧١}. وهذا النور لم يؤذِه وكأنه جزاء لأعمال بولس، بل بسبب شدة أشعته آلمه كما هو يقول أيضاً: "ولما قمت لم أعد أرى شيئاً بسبب بهاء النور". من هو المُجدّد، النور أم بولس؟ كيف يمكن للنور الذي يمجّدك أن يكون له معميأ. كان نوراً بحسب طبيعته ينير العلى، وكغير عادته أشع في العمق (الأسفل). فوق كان ينير منعماً، وفي الأسفل أشع معميأ. النور أصبح قاسياً وطيباً. قاسياً وعاتياً على عيون الجسد، وطيباً وهنيئاً للذين هم نار وروح.

٢٧

رأيت من السماء نوراً أقوى من نور الشمس، مُشعاً عليّ. أشعة قوية بلا حد أفاضت وسُكبت على الأعين الضعيفة التي تؤذيها الأشعة المحدودة. والشمس كذلك بقياس تفيد العين، فخارج القياس ودون محدودية تؤذي العين. فلا يؤذيها بغضب كالمنتقم، فهو صديق الأعين ومحِبّ الحقائق. والعجب هو أنه صديق ومعين للأعين بأشعته الهادئة، ولكنه بأشعته القوية هو عدو ومؤذٍ للحقائق. إذا الشمس السفلية التي هي من طبيعة الأعين، تؤذي بقوتها وليس بسبب الغضب، وبهجها وليس غضبها. فكم بالحريّ النور الفوقاني ذو طبيعة الفوقانيين بقوته آذى السفلي الذي نظر إليه فجأة بغير طبيعته. إذا الشمس المتعود عليها بولس عندما ينظر إليها لا كالمألوف تؤذيه من قوتها، فكم يتأذى بالأحرى من بهاء النور الذي لم تتعود عينيه عليه أبداً. دانيال كذلك تملّص وذُهل من كل الجهات أمام شعاع مجد الملاك القوي الذي أشع عليه فجأة. وليس بسبب غضب الملاك تملّص ضعف الإنسانية. كما وليس بسبب

⁶⁷ تكبر الفريسي يشبه تكبر شاول في قتل واضطهاد المسيحيين، أما تواضع ربنا فانتصر على كليهما بتواضعه. بهاتين الصفتين ينتقل مار أفرام من قصة الفريسي والمرأة الخاطئة إلى قصة بولس الرسول.

⁶⁸ هنا الرب بمعنى إلهي، فهو الرب بالمعنى الذي تم إطلاقه على الله في العهد القديم.

⁶⁹ مار بولس المتمرس باليهودية والشرعية والغيرة الفريسية ضد أتباع الناصري، يتحول إلى رسول أممي عالمي يختلف مع بطرس ليؤسس كنيسة تستقل عن الممارسات اليهودية لا بل ويحاربها بما يعرفه عنها.

⁷⁰ يسوع هو فوق كل الرئاسات والسلطين والملائكة، إنه الجالس عن يمين الله الأب.

⁷¹ دوماً ما نسمع الصوت في الكتاب المقدس والذي لا يؤذي، أما الصورة فنحن نعلم أن الله يقول ليس هناك من يراني ويحيا. والصورة دوماً تثير العجب في الرء. أما في قصة بولس نجد مار أفرام يختار القصة التي تقول بأنه سمع الصوت ولم ير النور.

نقمةٍ وكُرِهِ النارُ تُذَوَّبُ الشمعُ من أمامه، بل بسبب ضعف الشمع الذي لا يستطيع تحمل الوقوف أمام النار، وما أن يقترب كلاهما الواحد من الآخر تنتصر قوة النار في الشمع وضعف الشمع يتراخى بسبب الضعف الأول^{٧٢}.

٢٨

عظمة الملاك تراعت بدانيال، ولم يخلد ضعف الجسد فيه: "داخلي استحالة فساداً"^{٧٣}. بل البشر هم من يرون بني البشر ويغربون من أمامهم، فلا يضطربون من شكلهم البهّي بل من إرادتهم القاسية. يرتعب العبيد من غضب أسيادهم، ويرتجف المدينون من رهبة الذين يدينون لهم. لم تحدث هذه لدانيال بسبب تهديد وغضب الملاك، بل بسبب طبيعته المهيبة وضيائه الشديد. لم يأتِه الملاك بالتهديد، فإن أتى بالتهديد عليه، كيف يمكن لفم مليءٍ بالوعيد أن يكون مليئاً بالسلام والعبرة: "السلام لك أيها الرجل المحبوب"^{٧٤}. والفم الذي هو ينبوع الرعود، صوت كلماته كصوت قوات كثيرة، هذا الفم نفسه صار له ينبوعاً حاملاً وجامعاً للسلام. ولما وصل للأذان المرعوبة المتعطشة للسلام المُشجّع سال وسُفك شراب سلامه. وتشجعت بسلامه الأخير الأذان التي فزعت من صوته الأول: "ليتكلم سيدي لأنني تشجعت". ولكن ملاك النار أيضاً لئلا يقسوا عليه بهذه الرؤية التي تفجع القلب، تقدمت هذه العظمة وسالمت الدونية. وبالسلام المفرح الذي أعطته العظمة المهيبة، قصد أن يؤخذ الخوف من الدونية التي ارتعبت.

٢٩

ماذا نقول إذاً عن رب الملاك الذي قال لموسى: "لن يراني إنسان ويحيى؟" هل بسبب هيجان غضبه كان سيموت من يراه، أم بسبب بهاء إلهيته غير المخلوقة لا يمكن أن تراها العيون المخلوقة. إن كان بسبب غضبه لا يمكن أن يحيا من يراه، فموسى بسبب محبته العظيمة جعله يراه. إذاً الله برويته هو مُمَيِّتٌ لناظره، مُمَيِّتٌ ليس بسبب غضبه القاسي بل بسبب بهائه الشديد. لذلك من محبته العظيمة أعطى لموسى أن يرى مجده، وبنفس المحبة منعه من أن يرى مجده. ليس لينقص شيئاً من مجد الربوبية، بل لا يمكن للأعين الضعيفة أن تتفهم أمواج مجده اللجوجة. لذلك الله الذي بحبه شاء أن (توضع) رؤية موسى بشعاع المجد اللذيذ، لم يشأ بمحبته أن يُغرق رؤية موسى بين أشعة مجده القوية. لذلك موسى رأى ولم ير^{٧٥}! رأى ليتعظم ولم يرَ لئلا يتأذ. بما رآه تعاضمت دونيته، وبما لم يره لم يختنق ضعفه. كما أن أعيننا ترى الشمس ولا تراها! بما تراه تستعين، وبما لا تراه لا تتأذى. ترى العين لتتأذى، ولا تتجاسر لئلا تتضرر. إذاً بالمحبة منع الله موسى من أن لا يرى المجد الذي هو أسمى من عينيه. كما أن موسى بمحبته أوقف بني شعبه لئلا يروا البهاء الأشد من أعينهم. تعلم من الذي أحلَّ ومدَّ يده وغطى عنه بهاء المجد لئلا يؤذيه، ليمدَّ هو أيضاً الغطاء ويحجب عن الضعفاء البهاء الشديد لئلا يضرهم. لما رأى موسى أن بني الجسد مثله لا يستطيعون أن ينظروا إلى المجد المجازي على وجهه، فزع، لأنه كيف طلب متجاسراً أن يرى مجد الإلهية التي يسولها يتعمد العلويون والسفليون ويجرون. وأعماقها لا تنبسط، وسواحلها لا توصل، ولا وجود للحد والتخوم^{٧٦}.

٣٠

إن قال أحدٌ بأنه لم يكن من السهل على الله أن ينظر موسى إلى مجده ولا يتضرر، ويرى بولس النور ولا يتأذى. ليعرف من يقول هذه، كما أنه من السهل أن تتغير الطبائع بقوة ومخافة الله، هكذا هو صعب أن تتبعر النظم بتميز وطبيعة الله^{٧٧}. فسهل

⁷² ثلاثة أمثلة يبين فيها مار أفرام أن قوة النور ليس بسبب الغضب يؤدي بل بسبب عدم توافقه والعين البشرية التي لا تستطيع مواجهة النور المباشر.

⁷³ دا ١٥: ٧.

⁷⁴ السلام هو ما يجعل الظهور أكثر أماناً، لأنه دليل على رسالة أكثر منه تهديداً. ولدنيا ظهورات كثيرة تبتدئ بالسلام أشهرها بشارة مريم.

⁷⁵ "رأى ولم ير"، إننا أمام اندهال مار أفرام المتهكم. فإنه نرى مجد أعماله ولا نرى مجد طبيعته، إنه منظور بأعماله وغير منظور بمجد طبيعته.

⁷⁶ "المجد المجازي" إن كان الإنسان غير قادر على أن يرى مجاز المجد الإلهي، فكيف له أن يرى مجد الله؟

⁷⁷ الله قادر على كل شيء بالمحبة، والمحبة الإلهية لا يمكنها إلا أن تحترم حدود الإنسانية التي وضعت لها منذ بدء الخليقة.

لذراع الصانع أن يُفسد المصنوعات، ولكنه من الصعب على خبرة الصانع أن يؤدي الإبداعات. وإذا شخص شاء أن يقول لواحدة من الواجبات التي تراعت له: ما كان يجب على الله أن يفعل هكذا! فاعرف أنه هذا ما كان يجب أن يعمل (السائل)، ألا يقول هكذا عن الله. رأس الواجبات هذه هي: ألا يعلم الإنسان الواجب لله. لا يليق بالإنسان أن يكون معلماً لله. إنه لأثم عظيم أن نكون مُعلِّمين لمن بإبداعات حذاقته استطاعت أفواها هذه المخلوقة أن تتكلم، هذا الشر لا يُغفر^{٧٨}، أي أن يعلم الفم بجسارته الواجب لله الذي بطيبته علّمه الكلام. إن قال إنسان ما كان يجب على الله أن يعمل هذا، أنا أيضاً لأن لي فم ولسان أقول: كان يجب على الله ألا يعطي الحرية للإنسان، التي بها يلوم الذي لا يلام بهذه التوبيخات. لا أتجاسر على القول: ما كان يجب أن يعطي، لئلا أكون أنا أيضاً معلماً لمن لم يتعلم^{٧٩}. فالصالح من ذاته يُنعم وإلا ما أعطى الحرية لبني البشر. ولأنه برغبته يوقف الموهبة العظيمة من الصغير، لذا أسرع فأعطاها بطيبته، لئلا يلام من أُنعمه عدلاً، ويلوم اللاعنون الحرية موهبته شراً^{٨٠}.

٣١

لماذا تَلَأَلت أعين موسى من المجد الذي رآه، أما بولس فعوض أن تتلألأ، لم تتلألأ بل عميت عمًا. نعرف أنه ليست أعين موسى أقوى من أعين بولس، بل إنهما واحد، أخوة بالدم والجسد. أعين موسى ضُبطت بطيبة من قوة أخرى، ولبولس لم يُضف لهما قوة برحمة غير قوة طبيعتهما، بل بغضب أخذت القوة منهما. فإن قلنا بأن قوة طبيعتهما أخذت منهما لذلك خجل وغلب من النور الشديد، إذا لو بقيت قوة طبيعتهما، هل كانتا تقدران أن تلقيا النور الذي ليس من طبيعتهما؟. إننا نعلم بأنه عندما يتجلى لنا شيء أكبر وأعظم من طبيعتنا لا يمكن لقوة طبيعتنا أن تقف أمامه، إلا إذا وُهِبَ لنا قوة أخرى خارج طبيعتنا. بالغني الذي اقتبلنا خارج الطبيعة نستطيع الوقوف أمام الغريب الذي هجم علينا دون طبيعة.

٣٢

لأن قوة آذاننا وحدقاتنا بطبيعتها هي موجودة بطبيعتها فينا، رؤيتنا وسمعنا لا يستطيعان القيام أمام الرعود والبروق القوية. أولاً لأنها تأتي بقوة، وثانياً تهجم فجأة وتأوه شدتهم ضعفنا. هذا ما حدث لبولس، فقوة النور الذي أشع فجأة على الأعين الضعيفة وضررهم^{٨١}، وبتواضع عظمة الصوت دخل آذانه المسدودة بشمع خصومات اليهود ففتحهما. لم يضر الصوت آذانه كما أضر النور حدقتيه، لم؟ لأنه كان يجب أن يسمع ولا يرى؟ لذلك أبواب السمع فُتحت أفعالها بالصوت، وأبواب البصر أُغُلقت ثغراتها بالنور. إذا لماذا السمع كان واجباً؟ لأنه بهذا الصوت كان ممكناً أن يظهر نفسه لما اضطهد من شاول، أما بالنظر فلم يكن ممكناً أن يُظهر نفسه لما اضطهد، لم يكن للنظر فرصة لهذا. أن يكون ابن داود^{٨٢} هارباً وشاول يضطهده، هذا كان قد حدث بالفعل لدى شاول الأول وداود الأول. كما وأن المضطهد والمضطهد كان يرى أحدهما الآخر، أما هنا فالأذن فقط هي القادرة على أن تسمع اضطهاد ابن داود، فالعين لا تستطيع أن تر اضطهاد ابن داود. بآخرين اضطهد لأنه في العلى، ولكن سابقاً لما كان على الأرض بأقنومه اضطهد. لهذا فُتحت الآذان وأغمضت الحدقات. والذي بالرؤية لم يستطع أن يجعل نفسه مضطهداً من قبل شاول، جعل نفسه مضطهداً أمام شاول

⁷⁸ عدم المغفرة يحددها الإنجيل في حالة واحدة "التجديف على الروح القدس"، لكن لماذا هنا لا يُغفر هذا الشر، أن نعلم الله. إن الله بوضعه فينا روحه، وسير كل شيء بالروح الذي وهبه، علمنا أن ننقاد لهذا الروح وأي تنكر لروحه يساوي التجديف عليه.

⁷⁹ نجد هنا أن تحمس مار أفرام قاده لأن يكون مثل من يوبخهم، لأنهم يلومون ويعلمون الله. ولكنه يعود سريعاً إلى سياق حديثه التوبيخي. اليوم كثيرون من الناس يلومون الله يقدمون له اقتراحات لكيفية إدارة الكون. الله الذي وهب الحرية للإنسان، جعله كائنًا مسؤولاً عن ذاته. فالإنسان لم يطلب الحرية كما أنه لم يطلب حدوده، لذلك على الإنسان أن يشكر دوماً النعمة التي هو فيها ولا يتذمر.

⁸⁰ هذه الفقرة قريبة جداً في مفهومها من أحد المداريش التي تتلى في الصوم الكبير في الأحد الخامس منه بحسب طقس كنيسة المشرق.

⁸¹ الظهور المفاجئ والمباغت للنور يجعله مار أفرام سبباً لأذية أعين بولس، لتلافي المقارنة بينه وبين موسى.

⁸² ابن داود لقب ذو وجهين، يسوع من نسل داود كسلالة بشرية، ويسوع ملك لأنه ابن داود مع أن داود نفسه تمنى رؤية المسيح. فيسوع هو ابن داود لا بل أعظم من داود.

بالكلمة. لما صاح: "شاؤل شاؤل لماذا تضطهني؟" أغضت العيون لأنها لا تقدر أن ترَ اضطهاده، وانفتحت الآذان لأنها قادرة على سماع عذابه^{٨٣}. وإن كانت أعين موسى بشرية كالتى لبولس، ولكن أعينه الداخلية كانت مسيحية: "موسى كتب عني"^{٨٤}. إن أعين بولس الخارجية كانت مفتوحة والداخلية كانت مسدودة، لأن أعين موسى الداخلية كانت مضيئة فالخارجية أيضاً استتارت. أما بولس فالخارجية أغلقت وبانسداد الخارجية تنفتح الداخلية. فهو بالأعين المخلوقة ما كان قادراً على أن يرَ ربنا بمعجزاته. فلما انسدت الجسدية رآه بالداخلية^{٨٥}. ولأنه أخذ تجربة من نفسه كتب للذين لهم أعين جسدية مستتيرة، "لينير الرب أعين قلوبكم"^{٨٦}. لأن العجائب الجليلة لم تسعف أعين اليهود المخلوقة. إيمان القلب فتح أعين قلوب الشعوب. إذ لو كان موسى قد نزل اعتيادياً من الجبل دون أن يشعَّ وجهه، وقال أنني رأيت هناك مجد الله، ما كان الآباء الكفرة آمنوا به. كذلك بولس لولا ألم العينين وقال: سمعت صوت المسيح، ما كان ليصدقه الأولاد الصالبون. لهذا وضع الله في موسى وبكل محبة علامة الشعاع الفاضل، ليصدقه الكاذبون أنه رأى مجد الله. بشاؤل كما في مضطهد وضع في آية العمى المردولة، ليؤمن الكذبة أنه سمع أصواتاً مسيحية. لئلا يقول هؤلاء عن موسى ولا أولئك ينقسمون بسبب بولس، وضع الله علامات على أجساد العميان وأرسلهم نحو الضالين^{٨٧}. الذين كانوا يصنعون العجائب بأهداب أثوابهم، لم يتذكروا عجائب الأثواب، وضلوا كثيراً بسبب معجزات الجسد. فلا الآباء الذين رأوا مجد موسى أطاعوا موسى ولا البنون الذين رأوا عمى بولس صدقوا بولس. لببت موسى ثلاث مرات كما للكلاب هجموا في البرية ليرجموه بالحجارة، قالوا: "ليرجمهم الجمع كله بالحجارة"^{٨٨}، ولبولس ثلاث مرات بالعصي كما للكلب ضربوه وهم مستأمنين، ثلاث مرات عُذبت بالزقاق. هذه هي الأسود التي بمحببتها ضُربت كالكلاب لأجل ربها. من قطع الغنم أفترسوا، فالقطع كان يرمم الرعاية الحارسين لتتسلط عليهم الذئاب المفسدة^{٨٩}.

٣٣

برشوة أطلق الصالبون الحراس. وقالوا عن بولس أن التلاميذ رشوه لذلك أهل مع التلاميذ، الذين بواهب الرشوة هربوا لئلا يُكرز ببِعْثِ ربنا، باسم الرشوة كانوا يظلمون من لا يؤمن بإيمان بولس. لذلك أُرعبه الصوت والنور أعماه ليكون قلقه مؤمناً لغضبه وعماه مخجلاً لظالميه. الصوت أقلق سمعه بقوله المتواضع "شاؤل لماذا تضطهني؟" والنور أعمى بصيرته حتى متى ما يقول الظالمون أخذ رشوة لذلك فُتن ليكذب، يوبخهم عمى النور الذي أخذ منه. لأنه هو من توسل ليتكلم بصدق. فالمعتقدون بأن الأيادي أخذت رشوة لذلك كذبت الشفاه، يعلمون بأن الأعين أعطت ضيائها لأن الشفاه بشرت بالحق^{٩٠}.

⁸³ هنا نجد نوعاً من التفضيل، حيث يسوع المجد أعظم من داود، فإن كان داود اضطهد بالرؤية، فيسوع لا يحدث له هذا بعد أن أیده الله بالقيامة. اضطهد يسوع قبل القيامة ورد عليهم بأعمال عجائبية ليروا، أما الآن فلا يرد عليهم سوى بالكلام، يسوع بعد القيامة لا يجترح المعجزات بل يتكلم ويوصي، هكذا فعل ببولس، جعله لا يرى لكي يسمع جيداً.

⁸⁴ يو ٤٦:٥.

⁸⁵ على كل إنسان يريد أن يرى ما لا يرى أن يتغاض عن عيون الجسد، بل عيون الإيمان التي جعلت التلاميذ يرون يسوع القائم من بين الأموات، وبها سينخطف بولس إلى السموات.

⁸⁶ أف ١٨:١.

⁸⁷ كانت العلامة مهمة جداً لدى اليهود ليصدقوا، ففي الكتاب المقدس شواهد كثيرة لطلب الآية لتصدق الرسالة. الملك حزقيا (٢مل ٢٠:٨-١١)، والدنا شمشون (قض ١٣) وغيرها من الشواهد. ولكن هناك علامات يريدونها الآخرون من صاحب الرسالة ليصدقوه، اليهود طلبوا دائماً آية من يسوع وهو كان يرفض أن يُعطي لهذا الجبل آية، ولما أعطاهم آية ما كانت سوى آية يونان، الموت.

⁸⁸ عد ١٠:١٤.

⁸⁹ أورشليم، أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، لكنك لم تريدي" (مت ٢٣:٣٧). وما قبلها في الآيات (٣٦-٣٣) حيث اليهود دوماً هم المسؤولون عن موت رعاتهم.

⁹⁰ ظهور القيامة للحراس أسكنته رشوة الرؤساء، أما بولس فالعكس صحيح، لأنه بشر بما رآه فصارت لديه عيون إيمانية.

وأيضاً من أجل هذا أعان الصوت المتواضع النور الساطع. فمن التواضع للعلا أولد ربنا المعونات للمضطهد، كما أن كل معوناته كانت تولد من الدونية إلى التعاضد^{٩١}. خذ تواضع ربنا من الرحم وحتى القبر وأنظر حيث التكابر يعين التصغير والتعاضد يُعزّد التواضع. كما أن عظمته بأشياء ضعيفة كانت تتراءى، فاللهيته^{٩٢} بعجائب ممجدة كانت تتجلى، ليصبح معلوماً أن الحاضر بينهم واحد، لأنه ليس واحداً بل اثنين، ليس الطبيعة الضعيفة فقط، ولا الطبيعة العظيمة فقط، بل الطبيعتين العظيمة والضعيفة المختلطتين، لذلك الطبيعتين كانتا تهبان الطعم، لكي بطعمهما تشعر الإنسانية بهما. لئلا يُعتقد بأنه الواحد الأكيد وهو اثنان بالامتزاج، بل ليُعرف أن الواحد من أجل الإلهية^{٩٣} صار اثنين بسبب الاختلاط. كذلك ربنا بتواضعه وتعالیه^{٩٤} علم بولس في طريق دمشق.

تراءى ربنا لشاول بتواضع، حيث التواضع ساعد العظمة، ليكون معلوماً بسبب تعاليه ما معنى تكلمه بتواضع. وكما بشر التلاميذ بربنا بتواضع وعظمة، بتواضع في الاضطهاد والعظمة بالعجائب، كذلك ربنا بتواضع وعظمة بشر بذاته أمام بولس بعظمة قوة الضياء المشع، بتواضع الصوت المتواضع القائل: "شاول لماذا تضطهدي؟" ولتتشبه كرازة التلاميذ به كانوا يبشرون أمام الكثيرين ما كان هو يعلنه عن نفسه. فإن لم يتكلم بتواضع ما كان قد عُرف هناك متواضعاً، ولو لم يترأ بنور بهي ما كان ليُعرف هناك أنه متعالٍ.

وإن قلت لماذا توجّب عليه الحديث بتواضع؟ كان يقدر أن يخضعه بعظمة النور! اعلم أيها السائل أن هذه المناقضة تجيبك. كان يجب أن يتكلم بتواضع، ليتكلم هو بتواضع أيضاً. لم يعد هناك شيء غير ملائم للحدث أن يحدث ممن هو خبير بكل شيء. الذي أعطى للعاملين أن يعملوا الشيء مما يلائمه من المواد. إن لم يكن يعرفها بأقنومه، فكيف يعطيها للآخرين ليعرفوها؟ لذا كل ما خدمت به الإلهية أو تخدم، فالشيء الذي خدم به في ذلك الوقت، أعان الخدمة في ذلك الوقت. وإن خلافاً للعادة شوهدت للعميان صنائع الإلهية، لئلا يضايقوا السائل الحكيم بالكلام المضايق، الذي بتوسل حقيقي يود النمو كالزراع في الهرطقات. اعلم أيها السائل، لأن شاول كان مضطهداً، انكشف لربنا ليُجعله مضطهداً عوض المضطهد. لذا أسرع وصاح بحكمة: "شاول لماذا تضطهدي" حتى متى ما يسمع المتتلمذ لمن يتلمذه يقول: "لماذا تضطهدي"، يعرف شاول أن المعلم الذي يتلمذ له هو معلم مضطهد^{٩٥}. ليتعجل وينزع عنه اضطهاد المعلمين الأوائل، ويتشج باضطهاد المعلم المضطهد^{٩٦}. إذا أراد أحد المعلمين أن يعلم شيئاً لأحد، بالأعمال أو بالكلام يعلمه له. وإن لم يعلمه لا بالأعمال ولا الكلام، لا يمكن لأحد أن يتلمذ لفنه. هكذا أيضاً ربنا لو لم يعلم بولس التواضع بالعمل، بينما بالصوت علمه الاضطهاد الذي لا يمكن أن يعلمه إياه بالعمل. قبل أن يُصلب ربنا اضطهاد التواضع علمه لتلاميذه بالعمل. وبعد ان

^{٩١} الولادة البسيطة، الصيادون الاثنا عشر، الفقراء والمهمشون والأهم صليب العار.

^{٩٢} الإلهية طبيعة يسوع الحبيبة على قلب مار أفرام، ومن ثم ستصبح لقباً لا بل ستبقى لعدة قرون شخصية يسوع وكأنه الله فقط دون الحاجة للإنسان.

^{٩٣} "من أجل الإلهية" أي لو أن الإلهية كان بإمكانها اقناع الناس بطبيعتها الباهرة لما كان الله بحاجة إلى تجسد، ولكن من أجل إثبات الإلهية لنفسها اتخذت جسداً.

^{٩٤} تواضعه من خلال الصوت وتعالیه بالنور الساطع.

^{٩٥} المعلم المضطهد، أو عبد يهوه المتألم، لقب كريستولوجي حاول فيه المسيحيون فهم معنى تألم ابن الإنسان على يد صالبيه.

^{٩٦} إن التحول العظيم في حياة بولس ليس سهلاً، فالإنسان القاسي لا يصبح مضطهداً بين ليلة وضحاها دون نعمة الله الفعالة. فالتلميذ يجب أن يكون كمعلمه، وهذا ما عاشه بولس دوماً.

تَمَّ الاضطهاد بالصلب، كما قال: "ها قد تم كل شيء"^{٩٧}. لم يعد بإمكانه مرة أخرى أن يعود ويحل جهلاً الشيء الذي تَمَّ مرة واحدة بحكمة. أوتريدون صلب ابن الله^{٩٨} وهوانه؟.

٣٧

وإن جاء ربنا من الأول بعظمة إلهيته نحو التواضع، إلا أنه في الختام لم يشأ أن يرد ويُخفف صغر البشرية الذي نما. فلأنه من الضروري أن يتعلم التلميذ المضطهد معنى الاضطهاد، لا يمكن أن ينزل العظيم ويضطهد مرة أخرى، بل علّمه بالصوت ما لم يكن ممكناً تعليمه بالفعل. "سأول لماذا تضطهدين" والذي معناه "سأول لماذا لا تضطهدين بي". ولئلا يظن سأول بأن ربنا اضطهد بسبب ضعفه، برهن له من خلال قوة النور الشديدة التي أشعت عليه. فإن عيني سأول ما استطاعت أن تواجه أشعة النور هذه، كيف يمكن ليديه -سأول- أن تربطاً وتوثقاً تلاميذ رب هذا النور^{٩٩}؟ ربط يديه للتلاميذ ليتعلم أن قوتهم بوثاقهم، ولم تستطع عيناه أن تواجه الأشعة ليتعلم بقوتهم ضعفه. فلو لم تشع عليه قوة النور هذه، وقال ربنا لسأول: "سأول لماذا تضطهدين؟" لفاتخار العظمة التي كان عليها بولس في ذلك الوقت، لكان قد أجابه هكذا: "لهذا السبب أنا اضطهك، لأنك قلت لماذا تضطهدين، فمن لا يضطهك ولا قوة في صوتك الضعيف الذي به تريد زعزعة مضطهيك"^{١٠٠}. لكن تواضع ربنا سَمع بالصوت، وقوة النور أشعت بالشعاع. ولم يستطع سأول أن يحتقر تواضع الصوت بسبب بهاء النور.

٣٨

تتلمذت أذناه للصوت الذي سمعه^{١٠١}، لأن الأعين ما استطاعت أن تواجه الأشعة التي رأت. إنها لأعجوبة، إشراق النور فاض على الحذقتين وأضرهما، وصوت رب النور دخل الأذان ولم يوجعها. كيف يمكن أن يكون النور أقوى من رب النور؟ فإن كان النور الذي خلقه بيديه قوياً هكذا، فكيف هو قوي الذي بيديه خلق هذا النور؟ فإن كان قوياً رب النور كما هو النور قوي، كيف دخل صوته المُسمَع ولم يؤلمه كالنور الذي آذى النظر؟ لكن اسمع الأعجوبة والدهشة التي صنعها ربنا بنعمته للمعونة. لم يشأ ربنا أن يجعل من النور الذي هو ملكه يتواضع، بل رب النور هو من تواضع بأفنومه! فكما أن رب النور هو أعظم من النور نفسه، هكذا عظمة المجد لرب النور هي أن يتواضع أكثر من أن يجعل النور يتواضع^{١٠٢}.

٣٩

هكذا في الليل عندما كان يصلي، مكتوب أنه تراءى له ملاك يقوِّيه^{١٠٣}. هنا كل الأفواه العلوية والسفلية هي صغيرة تجاه طيبة من بيده خلقت الملائكة. فإنه من أجل الخطاة تقوى بواسطة ملاك خلق على يده. فالملاك كان واقفاً بمجد وبهاء، أما رب الملاك فلقي يرفع آدم الذي انحط كان واقفاً مذلولاً ومتواضعاً. كذلك النور هنا، فهو أشع بإشراق قوي، أما رب النور فلمعونة المضطهد تكلم بأصوات متواضعة مذلولة.

⁹⁷ يو ١٩: ٣٠.

⁹⁸ لقب صريح ليسوع من حيث أنه ابن الله الحقيقي. وأن الله لا يرضى بأن يُقتل ويُهان ابنه، وإن حدث هذا فالأب سيؤيد ابنه بالقيامة ولن يتركه الفساد.

⁹⁹ رب النور لقب إلهي وكريستولوجي، وهو مستعمل كثيراً في الليتورجيا المشرقية. فمرات يكون المقصود الله الأب وأخرى المسيح، ولكننا عبرنا حاجز التمييز هذا لما رأينا أن يسوع المسيح هو الله أيضاً، ومار أفرام يود أن يتلاش هذا التمايز من خلال التركيز على الإهوية يسوع المسيح.

¹⁰⁰ إذا سبب آخر للنور الساطع المؤذ وهو كبح تغطرس بولس.

¹⁰¹ السماع موضوع مهم جداً لدى مار أفرام، فالخطيئة والخلاص دخلا العالم عن طريق الأذن. فالسمع دون الالتفات لما تراه العين البشرية هو أساس الإيمان والخطوة الرئيسية لإتباع يسوع في طريقه.

¹⁰² لأن الخطيئة الأساسية هي التكبر، كان لزاماً أن يتواضع الرب ليعيد كل شيء إلى صفاته الأولى.

¹⁰³ لو ٢٢: ٤٣.

لذا فالنور الذي كان قوياً ولأنه لم يستضعف، دخل سنائه القوي إلى الحذقتين وأضرهما. أما رب النور فلأنه تواضع للمعونة دخل صوته المتواضع في الأذنين المحتاجة وأعانهما. لكن لكي لا يُكذب عون الصوت الذي تواضع، لم تتواضع شدة النور. لكي بالنور الذي لم يتواضع يؤمن بمعونة الصوت الذي تواضع. إن هذا لأمر عجيب، لم يتواضع بولس بالفعل، حتى تواضع ربنا بالصوت! فكما أن ربنا قبل أن ينزل ويلبس الجسد، كان متعاطفاً لدى أبيه^{١٠٤}، فلم يتعلم البشر التواضع من عظمتهم^{١٠٥}. ولكن لما تواضع وتنازل عن كبريائه، حينئذٍ بتواضعه زرع التواضع بين البشر. كذلك بعدما أُقيم^{١٠٦} وصعد بالمجد وكان عن يمين الأب، إلا أن بولس لم يتعلم التواضع من عظمتهم هذه. لذا الذي تعظم وجلس عن يمين أبيه، ترك الأصوات المجيدة المتعظمة، وبأصوات هزيلة ومتواضعة كالمقهور والمظلوم صرخ قائلاً: "شاؤل، شاؤل لماذا تضطهدين؟". حينئذٍ انتصرت الأنغام الشجيرة على الردع القاسية، بالأنغام الشجيرة كما الأربطة جلب المضطهد مضطهده من طريق المضطهدين الواسع إلى طريق المضطهدين الضيق. ولما لم تشفع كل الآيات التي صارت باسم ربنا لبولس، أسرع ربنا ولاقاه بتواضع. الذي ركض في طريق دمشق باندفاع التجاسر، أوقفت حمية التناول القاسية، بأصوات التواضع.

الذي تصرف مع بولس مضطهده بأصوات متواضعة، هو نفسه الذي تعامل مع الفريسي بأصوات متواضعة. هكذا هي عظمة قوة التواضع، حتى الله الغالب على الكل بدونها لا ينتصر. التواضع هو الذي حمل ثقل الشعب القاس الرقاب في البرية. فصد شعب أقسى من كل البشر وُضع موسى الذي كان أكثر البشر تواضعاً. الله الذي لا يحتاج شيئاً ليخلص الشعب، احتاج فيما بعد إلى تواضع موسى، فتواضعه هو من احتمل سخط وتذمر العاصين. الشعب الذي لم تقدر عليه آيات مصر وعجائب البرية، التواضع فقط هو من استطاع أن يتحمل مناخره. لما كانت العظمة تعمل الثغرات في الشعب، كان التواضع بصلاته يسد ثغراتهم. فإذا تواضع الأخرس احتمل تواضع ستمئة ألف شخص، فكم بالأحرى يحتمل تواضع من وهب النطق للبكم. فتواضع موسى هو ظل لتواضع ربنا^{١٠٧}.

وجد ربنا أن سمعان الفريسي لم يخضع للآيات العجيبة التي رآها، فجاءه ليقنعه بالأنغام المتواضعة. ومن لم تقبده العجائب القوية، أخضعته الأصوات الضعيفة^{١٠٨}. ما هي العجائب التي رآها الفريسي؟ رأى الموتى يقومون، والبرص يُطهرون والعميان يُبصرون. هذه العجائب هي التي أجبرت الفريسي أن يدعو ربنا وكأنه نبي. والذي دعاه كنبي عاد ليسخر به كالذي لا يعرف، "لو كان هذا نبياً لعرف أن هذه التي اقتربت منه خاطئة"^{١٠٩}. ونحن نقول عن الفريسي بسخرية: "لو أنه أعقل من الخاطئة التي اقتربت من يسوع، لتعلم أن ربنا ليس نبياً بل رب الأنبياء"^{١١٠}. دموع الخاطئة كانت شاهدة على أنها لا ترضي نبياً بل ترضي من هو غاضب

¹⁰⁴ الوجود الأزلي للمسيح، ويساوي الكلمة الذي نزل واتخذ جسداً، لقب نجد أساسه في الإنجيل الرابع (نشيد الكلمة).

¹⁰⁵ هذا ما لم يتعلمه شعب إسرائيل من إلههم، لأن يهوه كان جباراً عظيماً متعالياً، أما يسوع فعلم جمعه دوماً التواضع. لذلك ترك عظمة السماء وجسد التواضع في حياته ودعوته التلاميذ أتباعه.

¹⁰⁶ القائم من بين الأموات، تأييد الله، في الخطبة البطرسيّة الأولى نجده حاضراً، وسيكون الأساس للإيمان المسيحي مع بولس: "لأن المسيح لم يقم فتبشيرنا باطل وإيمانكم باطل" (١كور ١٥: ١٤).

¹⁰⁷ يسوع هنا هو موسى لا بل أعظم من موسى. فيسوع فاق موسى عظمة، ليس بإعطاء الشريعة بل بروح الشريعة المتواضعة.

¹⁰⁸ هذا هو التشابه الذي تكلم عنه مار أفرام أعلاه. فمار بولس لم يصدق العجائب التي قام بها أتباع الناصري، كما فعل الفريسي قبله ولم يصدق عجائب يسوع. وكما أن بولس لم يرضخ إلا للصوت الضعيف كما أن الفريسي لم يرضخ إلا للمثل المتواضع الذي بألفته اعترف بما أنكره بداية في يسوع.

¹⁰⁹ لو ٣٩: ٧.

¹¹⁰ عندما يسأل يسوع من برأي الناس، يقول بعضهم بأنه واحد من الأنبياء، سيأخذ يسوع النبوة ولكنه لن يكون كأي نبي آخر، بل إنه رب الأنبياء كلهم.

على خطاياها كالله. ولأن الأنبياء غير قادرين على إحياء الموتى، نزل رب الأنبياء ليشفي المصابين بأمراض مستعصية. من هو الطبيب الذي يوقف المرضى لئلا يأتوه أيها الفرّيسي الأعمى^{١١١}؟ جَدَفَتَ على طبيبينا^{١١٢}، لماذا اقتربت منه السقيمة التي بدموعها شُفِيَتْ أوجاعها؟ الذي نزل ليكون ينبوع الشفاء للموجودين، هكذا كان يبشر: "كل من هو عطشان، فليأتِ ويشرب"^{١١٣}. ولما تذر الفرّيسيون أصدقاء هذا على شفاء الخطاة، برهن الطبيب على أن دوام انفتاح الباب هو أمام المرضى وليس الأصحاء. "ليس الأصحاء بحاجة إلى طبيب بل المرضى"^{١١٤}. فمديح الطبيب هو علاج للمرضى. (فكلما ازداد توبيخ الفرّيسي، سترها طبيبينا بمديحه) فربنا الذي أظهر العجائب في الأسواق، كذلك لما دخل بيت الفرّيسي أظهر عجائب أعظم من تلك التي في الخارج. ففي الأسواق شفى الأجساد المريضة، وفي الداخل شفى الأفكار السقيمة. في الخارج أحيّا موت لعازر، وفي الداخل أحيّا موت الخاطئة. أعاد للجنة النفس الحية الذي خرجت منه، وطرده من الخاطئة الخطيئة القاتلة التي كانت حالة بها^{١١٥}. الأعمى الذي لم يطق العظام، بعلّة العظام التي لم يَرِ كَذَبَ الصغائر التي رأى. صار ابن إسرائيل الذي يضع الضعف على إلهه وليس على نفسه. إن ضرب الصخرة فجرت المياه، فلما لا يستطيع أن يعطينا الخبز أيضاً. فلما رأى ربنا ضعفه الذي أماله من العظام وبحجتهم من الصغائر أيضاً، أسرع وركبَ كلمة بسيطة كما لطفل يتغذى بالحليب، للذي لا يطيق الأكل الحقيقي^{١١٦}.

٤٣

مَمَّنَ عرفت أيها الفرّيسي أن ربنا ليس نبياً، منها عُرِفَتْ أنك لا تعرف الأنبياء، وبقولك: "لو كان هذا نبياً لعرف"، بينت هنا أن النبي هو من يعرف كل شيء. لقد أخفيت أموراً عن الأنبياء، فكيف تعطي كشف كل الخفايا للأنبياء^{١١٧}. المعلم الجاهل يعتني بكتب الأنبياء، ولا يفهم من قراءة هذه الكتب. ليس فقط لم تتراءَ للفرّيسي عظمة ربنا، بل حتى ضعف الأنبياء لم يَرَهُ. وكما يعلم الكل، ربنا سمح للخطئة أن تدخل وتقبل سلامه، واليشاع كغير العارف قال للشونمية: "هل أنت بخير؟ وهل الصبي بخير؟"^{١١٨} فالذي اعتقد أنه عرف بأن ربنا ليس نبياً، صار معروفاً بأنه لا يعرف الأنبياء. فالفكر الذي يسكنه الشر لا يمكن السيطرة عليه. فالشر الذي يتحكم به، يتطلب له أسباباً لفتح الباب، لكن ببرهان العلة التي لجأ إليها الكذاب، عرف أنه بهذه العلة سيعمل ضرراً آخر. انظر ابن إسرائيل هذا الذي تشبه خيانتة خيانة إسرائيل. الوثنية كانت متخفية في فكر شعب إسرائيل، لذا جُرد موسى منهم لِيُفَضَّحَ الشر الذي فيهم. ولكن لئلا يخجلوا ويُعرفوا أنهم يطلبون الأصنام، طلبوا موسى أولاً ومن ثم الأصنام، "نحن لا نعلم ما جرى لموسى هذا"^{١١٩}. إن كان الله الحي قد أخرجك من مصر، فلماذا تطلب البشر، متى ما أراد أن يميتهم، هل اعترف موسى اعترافاً بـ: أنا إلهك، فالله يبيد الإله الآخر الذي تطلب. ولكن حتى بموسى ما شاعوا أن يكون لهم إله، لأن موسى كان يسمع ويرى ويوبخ، وهم يريدون إلهاً لا يسمع ولا يرى ولا يوبخ. حتى لو مات موسى، ما لك به، إن إلهك حي وبشهادة الأحياء يتراءى لك. سحابة النور كانت فوقهم تظللهم، وعمود النار كان

¹¹¹ هنا يخطر على بالنا كلام يسوع عن مجيئه من أجل الخطاة كما أن الطبيب هو من أجل المرضى، لذا يسوع هو الطبيب الذي لا يمنع أي مريض من الاقتراب إليه.

¹¹² الطبيب من الألقاب التي نستطيع استنتاجها كثيراً من المعجزات التي اجترحها يسوع في الأناجيل.

¹¹³ يو ٣٧:٧.

¹¹⁴ لو ٣١:٥.

¹¹⁵ يعتبر مار أفرام توبة الخاطئ أفضل بكثير من إقامة ميت، لأن التوبة الحقيقية تعني العودة فعلاً إلى الله.

¹¹⁶ تمرد الشعب الخارج من البرية واعتبر الله غير مسؤول عن تصرفاته تجاههم حيث غالباً ما كانوا يغضبون قائلين: لماذا أخرجتنا أَلْتَمِيتنا هنا؟ لم يقل الشعب أنه متخاذل ولا يمكنه الاعتماد على قيادة الرب الحكيمة بل أوقع اللوم على قائده دوماً. وهذا ما فعل ابن إسرائيل (الفرّيسي).

¹¹⁷ هكذا كان مفهوم الشعب القديم للنبوة وكأنها كشف الخفايا فقط، في حين أن يسوع كشف الخفايا ليس لكونه نبياً، بل لأنه استعمل لغة المحبة التي تطلب ويُعطى لها دون كلام.

¹¹⁸ مل ٢:٤.

¹¹⁹ خر ١:٣٢.

في الليل ينيرهم، ومن جنب الصخرة التي ضربت شربوا المياه، والمَنْ الذي نحن سمعنا بشأته، هم بطعمه كانوا يتتعمون يومياً. كيف هو بعيد عنك موسى وعجائب موسى محيطه بك. بماذا ينفعك أفنوم موسى وأنت لديك معتن مثل هذا (الله). إذ ثيابك لا تبلى، ينعشك الهواء المعتدل، الحر والبرد لا يؤذيانك، من الحروب تسلم، من خوف المصريين أنت بعيد. إذاً إنها لخسارة لإسرائيل أن يدعو موسى، وتجلي الوثنية تعد خسارة له. لكنه لم يكن يطلب موسى بل بحجة موسى كان يبحث عن العجل. لقد أظهروا بسرعة أن الفكر المليء شيئاً يمتلئ بعلّة مضادة تفاجئه، يسخرها عنوة ليفتح له الباب لما يشاءه^{١٢٠}.

٤٤

وأنت أيضاً أيها الفرّيسي المتعطّش للتجديف، ماذا تراءى لك في ربنا وقلت عنه ليس بنبي؟ ها هي أمور رب الأنبياء تتواجد فيه، الدموع المنسكبة برهنت بسرعة، وكأنها أمام الله تسكب. والقبيلات الحزينة تشهد بأن صاحب الدين يسخر من تمزيق الصكوك. زيت الخاطئة الجيد برهن على أنه رشوة توبتها. هذه الأدوية قدمت الخاطئة لطبيبتها، فدموعها يبيض دَنَسها، وبقبلاتها يشفي أوجاعها، وبطبيبتها الطبيب يُنعم اسمها السيئ كرائحة زيتها. هذا هو الطبيب الذي يشفي بما يذهب به إليه الإنسان. هذه العجائب كانت تتراءى وقتئذٍ، إلا الفرّيسي فقد تراءى له التجديف عوض هذه. ماذا كان يُعتقد من بكاء الخاطئة، إلا إذا كان هذا هو مُبرّر الخطاة. وإلا احكم بعقلك أيها المعلم الجاهل لماذا تبكي هذه بحزن في عشاء مُفرح، فهم يتتعمون بالماكل، وهي تتوجع بدموعها. ولأنها خاطئة كان عليها أن تعمل أعمالاً قدرة، فإن كانت قد تطهرت من فحشاء الخطاة وقتذاك، اعرفه من قلت أنه ليس بنبي، إنه الذي يُخرج الكرام من الفاحشين. من هذه التي تعرفها بأنها خاطئة، ومن هذه التي تراها الآن وهي تائبة؟ ابحث عن القوة التي غيرت هذه^{١٢١}! كان يتوجب عليه أن يخرّ ويسجد للصامت الذي بصمته يتورع الخطاة، أولئك الذين لم يتمكن الأنبياء أن يطهروهم بأصواتهم القوية. تراءت الدهشة والأعجوبة في بيت الفرّيسي، امرأة خاطئة جالسة تبكي، لا التي تبكي قالت ما سبب بكائها، ولا الذي كانت جالسة عند قدميه سألها لماذا تبكين؟ لا الخاطئة كانت بحاجة لأن تسأل ربنا بشفاها، لأنها آمنت أنه عارف كالله الطلبات المتخفية في دموعها. ولا ربنا سألها ماذا فعلت؟ لأنه كان عارفاً بأنها بقبلاتها الطاهرة عوضت عن خطاياها الدنية. ولأنها آمنت بأنه عارف بالخفايا، قدمت له صلواتها في قلبها. عارف الخفايا ليس بحاجة إلى الشفاء المخلوقة. إذا الخاطئة علمت بأن ربنا هو الله^{١٢٢}، لم تتوسل إليه بالشفاء، ولأن ربنا كان ينظر إلى أفكارها كالله، لم يسألها. أيها الفرّيسي الطاغ، ألم تتعلم من صمتها شكليهما؟ فهي كالتى من قلب الله كانت تطلب، وهو كالله كان يتفحص ثغراتها بصمت. لم يستطع الفرّيسي أن يلاحظ ويفهم هذه، لأنه ابن إسرائيل^{١٢٣}. فعندما ينظر لا يرى، وعندما يسمع لا يفهم^{١٢٤}. ولما علم ربنا بأن الفرّيسي تصويره بالشر، لاقاه باللين وليس بالقسوة. الحلاوة نزلت من السماء لتزيل النتن من رغبتنا الشريرة. علّم ربنا الفرّيسي منه وبه، مثلما تعلم أن الشر في قلبك أقنعك بطيبة، هكذا لما علمت بسيئاتها قبلتها بالرحمة.

٤٥

لنسمع طول الأناة كيف أنجذبت بعد الحكم السريع، من الاستعجال رقاءه للفطنة؟! اثنان مدينان لرجل صاحب الدين، أحدهم مطلوب خمسمئة دينار والآخر خمسون ديناراً. لا تضجر أيها السامع من كثرة ترداد المثل، لئلا تكون نداً لمن أطال صيره بالمثل من

¹²⁰ بعد أن يضع الابن كل شيء له يخضع هو وكل ما أخضعه لنفسه لله، إذا كل ما يمكن أن ينوب عن الله بهذه الصورة سيكون ممهداً لتترك الله بأقرب فرصة. فالإنسان مهما يكن ليس الله، وغياب الإنسان لا يعني غياب الله، فالحق في كل مكان، وخصوصاً في قلب الإنسان.

¹²¹ لم يفكر الفرّيسي بإيجابية بل اعتبر كرفاقه أن اختلاط يسوع بالخاطئين أمر غير مقبول فكيف وهذه خاطئة معروفة تأتي في وليمة وتعمل أعمالاً كانت تعملها سابقاً نتيجة الشهرة أما الآن فالأمر تغير كل ما عملته هو نتيجة التوبة الحقيقية الفيل التي أوقعت الكثيرين عبرت اليوم عن المحبة الطاهرة، والعطر الذي جذب الكثيرين للتهلكة اليوم فاحت منه رائحة الغفران.

¹²² يسوع هو الله، القمة التي توصلت لها الخاطئة، وبحسب الميمر هذا سجد يسوع أيضاً يستدرج خصومه ليعترفوا به إلهاً.

¹²³ تكرار هذا التهكم، يبرز التهجم الذي يشنه دوماً مار أفرام ضد اليهود، فهو لا ينسى أنهم خانوا عهد الله في القدم وصلبوا ابنه لما أرسله ليطلب الثمر من كرمه.

¹²⁴ مت ١٣: ١٤.

أجل المعونة. ولما لم يكن لأي منهم أن يجازي دينه، عفا عن كليهما. من تعتقد بأنه سيحبه أكثر؟ قال له سمعان: أعتقد من عفا عنه أكثر. فقال له ربنا: بالعدل حكمت^{١٢٥}. بعدالته مدح ربنا هذا الأعوج لأنه حكم حكماً عادلاً، وهو بشره ذمّ الصالح بالحنان الذي صنعه. خفايا جمّة مطمورة هي في هذا المثل، إنه الكنز المليء بالمعونات الغزيرة. ما حاجة ربنا بالفرّيسي ليحكم بين مدينين اثنين؟ ليس إلا لتُظهر العظمة نفسها بأنها تأتي بعد الصغر، فالصغر لا يجذب وراء العظمة. ولأن ربنا عارف بالخفايا، أطال صبره وسأل سمعان ليؤبّخوا من لا يعلموا ويستعجلوا باللوم دون أن يسألوا. إذ أني لم أصدق إلى أن سمعت حكمك، فكيف أنت لم تسمع مني قصة الخاطئة، واستعجلت فُلمت. هذا كان لتعليمنا لأننا بطيئوا الاستقصاء، أن نكون متأنين في إطلاق الحكم. فلو تأنى الفرّيسي لكان الغفران الذي أعطاه ربنا في الأخير للخطئة، هو علّمه كل شيء، فطول الأناة تُجبر أن تملك كل شيء لأصحابه.

٤٦

وبالعفو عن المدانين ذوّق ربنا الغفران لمن كان بحاجة للغفران، مع أن غفران الذنوب كان مكروهاً بعينيه. حيث ذنوب الفرّيسي كانت بحاجة للغفران، إلا أن مغفرة خطايا الخاطئة كان مكروهاً بعينيه. فلو كان في فكر الفرّيسي مغفرة الخطايا، لما كانت الخاطئة عنده مذمومة وهي جاءت تبحث عن الغفران عند الله وليس الكهنة. فلم يكن الكهنة قادرين على غفران مثل هذه الخطايا، والخطئة من البيّنات التي عملها ربنا آمنت بأنه قادر على غفران الخطايا أيضاً. عرفت أن من يقدر على تسوية أعضاء الجسد يمكنه أيضاً أن يبيّض أدناس الفكر. الفرّيسي مع أنه كان معلماً، لكنه لم يكن يعرف هذه. أُجبروا ملائكة إسرائيل الجهلاء، أن يؤبّخوا من البسطاء والمنبوذين^{١٢٦}. وبّخوا بالأعمى الذي قالوا له: "نحن نعلم أن هذا الرجل هو خاطئ"^{١٢٧}. فهو أجابهم: "كيف فتح عيني والله لا يسمع صوت الخطاة؟"^{١٢٨}. هؤلاء هم المعلمون العميان المعمولين قادة للآخرين، وسلوكهم الأعوج يُصلّح من الأعمى.

٤٧

اسمع الأعجوبة التي صنعها ربنا، لأن الفرّيسي تصور عن ربنا أنه لا يعرف أن التي اقتربت منه خاطئة، جعل ربنا من شفاه الفرّيسي كأوتار الكنارة، ورنم بشفاهه لخطايا المرأة وهو (الفرّيسي) غير شاعر بهذا، مع أنه تصور نفسه حاساً. وجد كأنه كنارة مسموح للآخر أن يرنم بها ما يعرف. مثل ربنا خطايا الخاطئة بالخمسة دينار، وأجازهم في مسمع الفرّيسي بالمثل الذي سمع، وعاد وأخرجهم من فمه بالحكم الذي أعطى. ولم يعلم سمعان لما حكم بأن هذه الخمسة دينار تعني خطايا تلك الخاطئة. وهو الذي تصور أن ربنا لا يعلم خطاياها، تراءى أنه هو الفرّيسي لا يعرفها لما سمعها من المثل. وحاكمها بصوت عالٍ، ولما أخيراً فُسر من قبل ربنا، عرف الفرّيسي أن أدنيه مع شفثيه كأوتار الكنارة صاروا لربنا ليعزف بها أمجاد معرفته. هذا الفرّيسي كان صديقاً للكتبة، الذين أعطى عليهم ربنا عقابهم من فهمهم. ماذا يعمل صاحب الكرم بأولئك الفعلة؟ أجابوا هم عن أنفسهم: يهلكهم ويعطي الكرم للفعلة الذين يعطونه الثمار في أوانه^{١٢٩}. فالإلوهية التي كل شيء سهل عندها، بالأفواه التي جدّفت عليها، بنفس الأفواه حكمت عليهم.

¹²⁵ لو ٤١:٧-٤٣.

¹²⁶ أسلوب انتهجه الإنجيليون ليؤبّخوا كل من يحاول أن يعتبر نفسه المركز، وبالأصل لم يكن مقصوداً به رؤساء اليهود فقط بل وحتى المسيحيين، لكن مار أفرام يستعمله هنا ضد اليهود.

¹²⁷ يو ٩:٢٤.

¹²⁸ يو ٩:٣١.

¹²⁹ مر ١٢:١-١٢. المثل الأساسي في مرقس والذي فتح باب الموت على مصراعيه أمام يسوع، يسوع لا يحكم بل يستنطق الحكم من أعدائه.

المجد للخفي الذي لبس الكشف، ليستطيع الخطاة الاقتراب منه. لم يمنع ربنا الخاطئة كما اعتقد الفريسي، لأن الذي لا أحد يصله، نزل من السماء ليطاله العشّارون القصار كزكا^{١٣٠}. الذي لا يضبط لبس الجسد الطبيعي لتقبل رجليه كل الشفاء كالخاطئة. الجمرة المقدسة اختبأت تحت ستار اللحم، واقتربت من كل الشفاء الدنية وقدرتها. هكذا رجلاه دعت الدموع، والفريسي تصور أنه دعا بطنه للعشاء. هذا هو الطبيب الصالح الذي خرج يذهب عند الخاطئة، التي باعتقادها كانت تبحث عنه. هذه التي أرجل ربنا المسيح لم تدسها، وهي التي تداس كالتراب من الكل. داسها الفريسيون الذين كانوا يبررون أنفسهم ويحتقرون كل الناس، والرحوم الذي قدس دسها بجسده الطاهر تحنّ عليها.

مريم اختارت سر النصيب الأفضل لما دهنت رأس ربنا، زيتها تنبأ عمّا اختاره فكرها^{١٣١}. فلما كانت مرتاً منشغلة بالخدمة^{١٣٢}، كانت مريم الجائعة للروحانيات تشبع ممّن يشبعنا بالجسدانيات أيضاً، دهنته مريم بطبيها الجيد، كما طبّباها هو بتعليمه الفاضل. مريم بطبيها أظهرت سر موت من أمات بتعليمه شهوة جسدها. بجرأة ربحت الخاطئة غفران الذنوب من أمام رجليه مقابل الدموع. المنزوفة سرقت الشفاء من طرف ثوبه خلسة^{١٣٣}، أما مريم علناً قبلت الطوبى من فمه، أجر عمل يديها على رأسه. وضعت على رأسه طيباً فاخراً، وقبلت من فمه وعداً عجيباً^{١٣٤}. هذا هو الطبيب الذي زرع فوق وأظهر الثمار في الأسفل، زرعته في رأسه وحصدت ثماره من الشفاء، سيكون لها اسماً وهذه ذكرى هي في كل مكان تبشّر بشارتي، الفاشيء الذي قبلته منه واجب في كل الأجيال، ولا يمكن إيقافه في أيّ جيل. الطبيب الذي سكبته على رأسه، كان يفوح أمام كل المتكئين وكان ينعشه (يسوع). كذلك الاسم الصالح الذي أعطاه إياها، فاد في كل الأجيال وامتدحها. كل الذين كانوا في الوليمة شعروا بطبيها، كما وأوجبت على كل من يدخل العالم أن يعرف بظفرها. هذه هي المائدة التي تطلب مترئسها كل حين.

لما حمل سمعان الكاهن (يسوع الطفل) على ذراعيه، ليقدّمه أمام الله^{١٣٥}. تمنع فاتضح أنه ليس هو من قدمه، بل هو من اقترب بالطفل. لا يمكن أن يُقرب الابن لأبيه بواسطة العبد، بل العبد يُقرب بواسطة الابن لدى ربه^{١٣٦}. لا يمكن بواسطة غيره أن يُقدّم من به يُقدّم كل قربان. فالقربان لا يُقرب مقرّبه بل بمقرّبه يُقرب القرايين. قابل القرايين أعطى نفسه ليُقرب من آخر. حتى متى ما يُقربوه يتقرب به مقرّبه. كما أعطى جسده ليؤكل، ومتى ما يؤكل يحيا أكلوه. هكذا أعطى نفسه ليُقرب فتقدّس أيدي مقرّبه. وإن تراءت ذراعي سمعان تُقرب الابن، لكن كلام سمعان يشهد بأنه يُقرب بواسطة الابن. إذاً لا ريب لنا فيما جرى، فما فاه به أبطل الشك. "أطلق عبدك من الآن بسلام"^{١٣٧}، من يُطلق ليذهب بسلام الله، كالقربان الذي يُقرب الله؟ ليُعلم بواسطة من يُقرب، قال: ها عيني قد رأتا حنانك. لو لم تعمل به النعمة فلم شكر؟ شكر حسناً لأنه استحق أن يحمل على ذراعيه، من انتهى الملوك والأنبياء أن يروه فقط. "ها

¹³⁰ قصر زكا يأخذ معنى رمزياً لدى مار أفرام.

¹³¹ مريم هو الاسم الذي يضعه الكثيرون على المرأة الخاطئة، ولكن القصة اللوقاوية لا تشبه تفصيلاً قصة مريم في بيت لعازر (بيتها) في يوحنا، وقصة المرأة مجهولة الاسم في بيت سمعان الأبرص في كل من متى ومرقس. ولكن مار أفرام هنا أيضاً يستخدم الديايطسرون ولربما أن في الديايطسرون قد دمج القصص، حيث أصبحت القصة كالاتي: مريم اخت لعازر تذهب إلى بيت سمعان الفريسي وتدهن يسوع بالطيب، فيغفر لها ويعد بأن ما عملته سيكون ذكرى دائمة.

¹³² لو ١٠: ٤٠

¹³³ مر ٢٨: ٥

¹³⁴ مر ٩: ١٤

¹³⁵ لو ٢٨: ٢

¹³⁶ يسوع هنا هو الكاهن الأوحد، الكاهن الذي سيقرب العالم أجمع مرة وكفى على الصليب.

¹³⁷ لو ٢٩: ٢

عينيّ قد رأتا حنانك^{١٣٨}، نلاحظ ونرى هنا أن الحنان هو من يحن على الآخر، أو الآخر يحن عليه. فإذا وصفه بالحنان الذي يحن على الكل، جميل هو وصف سمعان لربنا، بالحنان الذي تحنّ عليه. لأنه أطلقه من المسكونة المليئة بالفخاخ ليذهب إلى عدن المليئة لذة. من قال هكذا وشهد أنه قُرب كالأقربان، ليذهب من العالم المهلك ويستريح في القطيع المحفوظ. فمن له فرصة أن يببّد وجوده، يكون له أيضاً اعتناء ليحفظ. فربنا لم يكن له فرصة ليضيع، لأن الضائعين به يوجدون. الابن الذي لا يمكنه أن يهلك، بيده قُرب العبد الأقرب للتيقظ منه للهلاك. "ها عينيّ قد رأتا حنانك" صار معلوماً أنها تعني أن سمعان حمل الحنان من الطفل المحمول. قبل السلام خفية من الطفل الذي قبله على ذراعيه علناً. المُمجّد مع أنه بحمله يظهر صغيراً وعاجزاً لكن الذي حمله به عظم.

٥١

من أجل العظمة التي لا تكفيها البرايا، أستطاع سمعان أن يحمل الضعفاء على ذراعيه. عرف أن ضعفه تقوى بالقوة التي يحملها. في تلك اللحظة سمعان مع كل البرايا تعلقوا بقوة الابن ضابط الكل خفية، والعجب الجلي هو الضعيف كان حاملاً مقويه. والخفي هو أن القوة حملت حاملها. فالعظمة أصغرت نفسها ليقدر عليها آخذوها. فبقدر ما تنزل العظمة نفسها تجاه صغرنا، هكذا ترتقي محبتنا فوق الشهوات نحو محل العظمة.

٥٢

كذلك السفينة التي كانت حاملة ربنا، هو كان من يحملها لأنه أوقف عنها الريح المغرقة. "اهدئي واسكتي"^{١٣٩}، وهو في الماء كانت تصل ذراعه ليسدّ منبع الريح. السفينة كانت تحمل إنسانيته، أما قوة إلهيته فكانت تحمل السفينة وكل من عليها. وليظهر أن إنسانيته ليست بحاجة للسفينة، عوضاً عن الدفوف التي ركبها وصنعها النجار، هو كمهندس البرايا ضرب الماء وضمها وأخضعها تحت رجليه^{١٤٠}. قوى ربنا يدي سمعان ليحمل في الهيكل القوة التي تحمل الكل. كما قوى رجلي سمعان رسوله لتحملن أنفسهن فوق المياه. الاسم الذي حمل البكر في الهيكل، عاد البكر وحمله في البحر. ليظهر أنه في البحر المغرق هو حمله، فلم يكن بحاجة أن يُحمل منه في البر. حمله ربنا في البحر علانية، ليُعلم أنه حتى في البر كان هو من يحمله خفية^{١٤١}.

٥٣

جاء الابن للعبد لا ليُقرب الابن بواسطة العبد، بل بواسطة الابن يُقرب العبد لربه الكهنوت والنبوة المسلّمة إليه. الكهنوت والنبوة المعطاة بموسى، سلّموا ووصلنا لسمعان كلتاهما. صار إناءً طاهراً مقدساً نفسه ليتأهل لكتليتهما مثل موسى. هذه هي الأواني الصغيرة التي استحققت المواهب العظيمة. هذه المواهب استحقها واحد بسبب نعمهم، ولم يستحقها كثيرون بسبب عظمتها. قُرب سمعان ربنا، وقُرب به ككتليتهما. ليؤخذ الشيء المُعطى لموسى في البرية من سمعان في الهيكل. ولأن ربنا هو الإناء الذي حل فيه الملء، لما قدمه سمعان أمام الله كلتا الموهبتين أفاضهما عليه. الكهنوت من يديه والنبوة من شفثيه، الكهنوت على يدي سمعان كانت مستمرة من أجل التطهير، والنبوة حلتّ حالاً على شفثيه للتجليات. ولما رأته كلتاهما لربيهما، امتزجتا معاً وحلتا في الإناء المستحق

¹³⁸ في كل الترجمات يتكلمون عن الخلاص وليس الحنان، ولكن يبدو أن مار أفرام استعمل كلمة الحنان الذي هو قمة الخلاص، حيث كلمة الله ترك العلى ليُقرب على أيدي البشر ليتقدسوا به كما يقول.

¹³⁹ مر ٣٩:٤.

¹⁴⁰ قوة يسوع الإلهية مرة أخرى تُخدم من قبل الإنسانية، والرمز هنا هو أن السفينة هي الكنيسة، فمع أن الكنيسة تحمل يسوع للناس أجمعين، لكن في الحقيقة يسوع هو من يحمل الكنيسة ويحميها ويضرب كل من يحاول أن يزعزعا.

¹⁴¹ يربط مار أفرام بين سمعان الشيخ في الهيكل، وسمعان بطرس في البحر (متى ١٤: ٢٨-٣٢)، فسمعان الذي حمل إنسانية يسوع في الهيكل، عاد يسوع وحمله بإلهيته علانية في البحر، ليعلمه أن الإلهية كانت تحمله خفية ليستطيع أن يقترب من الإنسانية التي اتشحها ليستطيع المائتون الاقتراب منها.

لكلتيهما، ليأخذ الكهنوت والملكوت والنبوة^{١٤٢}. الطفل الملفوف بالأقمطة بسبب طبيئته، أُنشج بالكهنوت والنبوة بسبب عظمتة. وشحه سمعان بهذه وأعطاه لمن لفته بالأقمطة. فلما أعطاه لأمه أعطاه ومعه الكهنوت، ولما تنبأ لها عليه "هذا وضع للسقوط والنهوض" أعطى معه النبوة أيضاً.

٥٤

حينئذٍ أخذت مريم بكرها وخرجت، وهو ملفوف بالأقمطة علناً، ومُنشجاً بالكهنوت والنبوة خفية. فالشيء المُعطى لموسى، أخذ من سمعان واستقر ومُلكَ لربيهما. سلّم الوكيل الأول والوكيل الأخير مفاتيح الكهنوت والنبوة للمتسلط على كنز كليهما. فلم يعطه أبوه الروح بقياس، لأن مقاييس الروح هي كلها بين يديه. وليظهر ربنا أنه أخذ المفاتيح من الوكلاء الأولين، قال لسمعان بطرس لك أعطي مفاتيح الأبواب^{١٤٣}. فكيف يمكن أن يعطيها لآخر ما لم يكن قد أخذها من آخر. فالمفاتيح التي أخذها من سمعان الكاهن، أعطاه لسمعان آخر وهو الرسول^{١٤٤}. وإن لم يسمع الشعب إسرائيل لسمعان الأول، ستنسحب الشعوب لسمعان الأخير^{١٤٥}.

٥٥

كذلك يوحنا كان وكيلاً للمعمودية، جاء إليه سيد الوكالة ليأخذ منه مفاتيح الغفران. يوحنا كان ينظف أدناس الخطايا بالماء العادي، لتستحق الأجساد ثوب الروح الذي يعطى من ربنا. ولأن الروح هو عند الابن جاء عند يوحنا ليأخذ منه المعمودية، ويمزج مع الماء المرئي الروح الذي لا يرى. لكي الذين يتحسسون بأجسادهم رطوبة المياه، تتحسّس كذلك أفكارهم بموهبة الروح، حتى كما أن الأجساد المخلوقة تتحسّس بفيض المياه عليها كذلك الأفكار الداخلية تتحسّس بفيض الروح عليها. فلما اعتمد ربنا توشح وأخذ معه المعمودية، كذلك لما قُرب في الهيكل لبس وأخرج النبوة والكهنوت، حيث حمل طهارة الكهنوت على ملابسه الطاهرة، وحمل كلمات النبوة بأذانه الودیعة. فلما كان سمعان يقُدس جسد الطفل مقدّس الكل، أخذ هذا الجسد الكهنوت بقُدسه. ولما تنبأ سمعان عنه، ركضت النبوة لمسمع الطفل^{١٤٦}. فإن يوحنا في البطن فرح وتحسّس بصوت أم ربنا، فكم بالأحرى يسمع ربنا في الهيكل، فلأجله تعلم أن يسمع وهو في الرحم^{١٤٧}.

٥٦

قطف الابن المواهب المحفوظة له من شجرته الحقيقية الواحدة تلو الأخرى، أخذ المعمودية من الأردن، وإن كان يوحنا يعمد من بعده. أخذ الكهنوت من الهيكل، وإن حنان عظيم الكهنة كان يستعملها. وأخذ النبوة أيضاً التي كانت تُسلم من خلال الأبرار، وإن قيافا ظفّر لربنا إكليل الشوك بالكلام الباطل. وأخذ الملكوت من بيت داود وإن هيرودس حفظ المكان المعمول فيها^{١٤٨}.

^{١٤٢} يسوع هو الملاء، ولما أتم كل شيء وجب عليه أن يُسلم كل شيء، يسوع موسى الجديد لا بل أعظم من موسى لذا استحق أن يأخذ الكهنوت وسيسلمه لبطرس مع النبوة لأنه ليس نبياً فقط كما عرفنا من الفريسي بل هو رب الأنبياء. ولكن كلمة الملكوت تدخل فجأة هنا، مع اننا نعرف بأن يسوع هو بشاراة الملكوت نفسها وهو الملك المسيا. إذاً يسوع هنا هو رب الأنبياء والكاهن الأوحد والملك السماوي.

^{١٤٣} مت ١٦: ١٩.

^{١٤٤} مرة أخرى يربط بين سمعانين على اساس الاسم ومن ثم مستقبلاً على أساس الموهبة والنعمة المعطاة لكليهما من ربهما.

^{١٤٥} مقارنة من نوع آخر حيث يتفوق سمعان الأخير على الأول ليس بسبب الفارق في النعمة، بل لأن الشعوب الغربية والوثنية (ستسمع وتفهم) عكس شعب إسرائيل الذي مهما سمع فإنه لا يفهم لذا ترك ورُدل كالكرم الذي لا يأتي بثمر.

^{١٤٦} لو ١: ٤١.

^{١٤٧} يسوع لا يترك شيئاً دون أن يتممه فيبعد أن تسلم الكهنوت والنبوة، يستلم العماذ ويتممه بفعل الروح، لأنه لا بد أن يولد الإنسان والماء وليس من الماء فقط، هكذا يكون مناسباً أن يدخل الملكوت الأبدي.

^{١٤٨} بهذه الثمار الأربعة سيتم الخلاص بيسوع المسيح، فمعمودية يوحنا وكرازته سيثيران هيرودس (الملك) على يسوع ويسخر منه حنان وقيافا بمشورتها وموقعهما سيثيران الشعب وبيلاطس ليطلبوا صلبه.

الذي طار نزل من السماء، فلما وجد كل المواهب التي أعطاها للأولين طارت وجاءت من كل مكان وأهدوها لمن أعطاهم إياها. جمع نفوسهم من كل مكان ليأتوا ويتطعموا، بشجرة طبيعتهم. تطعموا بالأشجار الرديئة، أعني الملوك والكهنة الأشرار. لذلك أسرعوا في المجيء إلى أصلهم الطيب. هذه هي الإلوهية التي (كالميزان) نزلت ووُجدت في الشعب الإسرائيلي، لتجتمع إليها أقسامها. ولما أخذت منهم ما لها، ترك ما ليس لها. فبحجة ما لها كانت تصبر حتى على ما ليس لها. احتملت وثنية إسرائيل من أجل كهنوته، احتمل سحره من أجل نبوعته واحتملت سلطته الشريرة من أجل تاجه المقدس^{١٤٩}.

٥٨

فلما أخذ ربنا كهنوته منهم، قدس به كل الشعوب. ولما أخذ نبوته أيضاً أعلن عن وعوده لكل الأمم، ولما توج بتاجه، أوثق الحصين سابي الكل ووزع غنائمه. هذه المواهب كانت باطلة للتينة^{١٥٠}، ولأنها من ثمار باطلة أبطلت مثل هذه الانتصارات. لذا قُطعت الشجرة غير المثمرة، لتخرج هذه المواهب وتزيد من الثمار في كل الأمم^{١٥١}.

٥٩

على كل هذه المنازل عبر الذي جاء ليجعل من أجسادنا غرفاً لسكناه. فيكون كل واحدٍ منّا مسكناً. من يحبني نأت إليه ونجعل مقامنا عنده^{١٥٢}. تقول الإلوهية: كل البرايا لا تسعها، بينما فكر صغير ومتواضع يكفي لها^{١٥٣}.

انتهى الميمر الذي قيل عن ربنا

¹⁴⁹ مع أن شاؤل أغضب الله، لم يقبل أن يرفع أحد يده على المسيح الرب، وإسرائيل بالرغم من شرهم تجاه الله وعصيانهم وخيانتهم له ظل هو أميناً معهم.

¹⁵⁰ لو ١٣: ٩-٦

¹⁵¹ قلنا أعلاه أن إسرائيل ترك كالكرم غير المثمر. يسوع جاء ليعيد الخراف الضالة من بيت إسرائيل، ولما خاصته لم تقبله، توجه ليبشر الأمم الغربية التي تعجب من إيمانهم ولم يجد له مثلاً في كل إسرائيل.

¹⁵² يو ١٤: ٢٣

¹⁵³ نستطيع القول أن هذا هو ملخص الميمر، فالتواضع وحده يكفي للإلوهية، لأن الله عظيم بتواضعه، الله أكبر بتواضعه، ليس الله شيئاً يُقاس بل يحتاج لشيء يلائمه، لا يهم الحجم والسعة والطول والعرض ما يهيمه هو أن أتكيف لأجعل من نفسي مقاماً لله المتواضع.